

مكتبة الأسرة

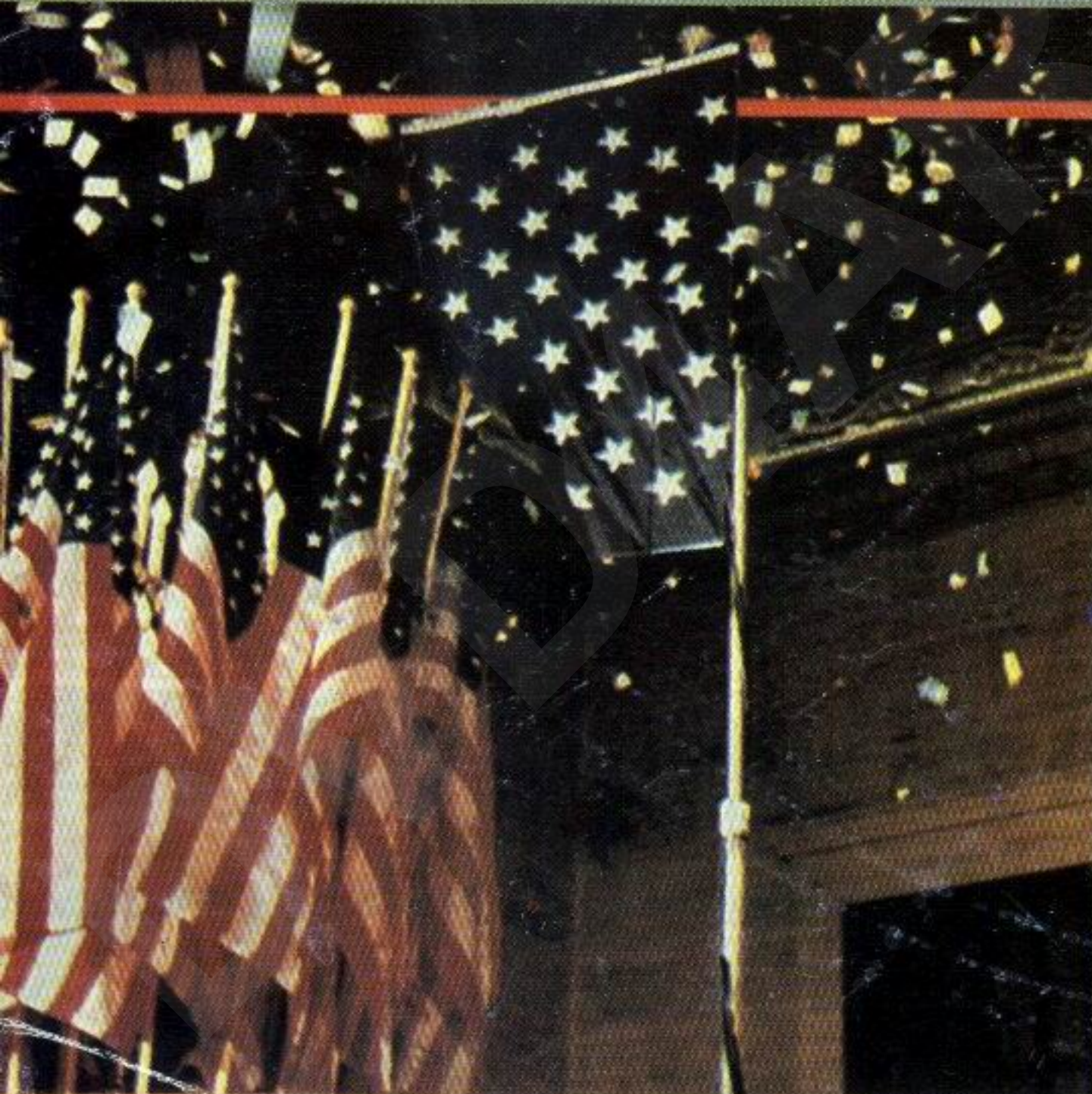


مهرجان القراءة للجميع

محمود السعدني

أمريكا يا أمريكا

الأعمال الخاصة



الهيئة المصرية  
العامة للكتاب

## استفلال

أمريكا هي أعظم وأضخم وأرخم امبراطورية ظهرت في التاريخ..  
اما كونها أعظم فهي اختصرت من ميزانيتها بعد التفاهم مع الاتحاد  
السوفيتي ١٦٠ مليار دولار من ميزانية الدفاع ذلك العام... اما كونها  
اضخم فهي بلاد بلا حدود، وهي في حجم ٥٠ دولة، وشعبها خليط  
من كل شعوب الارض. اما كونها ارخم امبراطورية، فهي بالرغم من  
عظمتها وضخامتها تدعى ان اللوبي الاسرائيلي يتحكم في مقدراتها  
وفي قراراتها. وهي تغضب جدا اذا اشترت امارة عجمان مثلا صفقة  
سكاكين من الصين، ولكنها تهنيء اسرائيل اذا اطلقت صاروخها الى  
الفضاء الخارجي. والدليل على رخامتها ايضا ان كل رؤسائها مع  
اليهود وهم في السلطة، ومع العرب عندما يصبحون على المعاش.  
وهي تجتاح دولة في حجم حى من احياء نيويورك مثل بنما بحجة ان  
رئيسها نورييجا يتاجر في المخدرات، مع ان السبب الحقيقي في  
اجتياح بنما هو السيطرة على قناة بنما واحتلالها الى الابد. وهي  
هاجمت كوبا ذات يوم بحجة ان كاسترو دكتاتور، ولكنها تتعامل مع  
دكتاتور السلفا دور، وتتعاطف مع دكتاتور زائير. وهي ظلت زمنا

طويلا تذرف الدمع على حقوق الانسان الضائعة فى رومانيا وفى بولندا، ولكن قلبها لم يخفق مرة واحدة لحقوق الانسان الضائعة فى دولة اسرائيل! وهى زعيمة العالم الديمقراطى، ولكنها انتقضت غاضبة عندما سادت الديمقراطية فى شيلى، وتأمرت عليها واسقطت الرئيس المنتخب الليندى وقصفت قصره بالقنابل وقتلته تحت الانقاض! وهى قائدة العالم الحر، ولكن كل عملاتها فى بعض اجزاء العالم يحكمون بالحديد والنار. وهى تتصدر الحملة ضد المخدرات فى العالم، ومع ذلك تبيع الصنف الممتاز فى اسواق العالم لتشتري اسلحة لجيش الكونترا الذى كان يقاتل الثورة فى نيكارا جوا.

ان امريكا باختصار هى ارحم امبراطورية عرفها تاريخ البشر، ومع ذلك فالسوق الامريكى هى أكبر سوق تجارية فى العالم، والديمقراطية فى داخلها هى اوسع ديمقراطية عرفها اى شعب من شعوب الارض.

وباستطاعة اى مواطن امريكى أو مقيم على أرض امريكا ان يصدر صحيفة أو يؤلف جزيا أو يخترع دينا جديدا او يدير محطة اذاعة أو يمتلك قناة تديع ما يشاء من برامج التلفزيون. وفى امريكا صحافة تستطيع ان تسقط رئيس الولايات المتحدة، وفيها أعظم ابطال الرياضة وأغنى اغنياء العالم، واعظم فن سينمائى يمكن انتاجه، وفيها فن مسرحى ليس له مثيل فى اركان العمورة، وفيها فرص لأى صاحب فكر أو صاحب علم، وهى رائدة فى مجال الفندقية وفى مجال الاطعمة المحفوظة، وهى اكثر دولة فى العالم استخداما للطيران الداخلى، واغنى وأقوى شركات الطيران بها هى التى تعمل طائراتها

على الخطوط الداخلية، وأهيف شركاتها هى التى تعمل فيما وراء البحار. وفى امريكا عصابات تسرق الكحل من العين، وفيها مافيا تدير المعارك الانتخابية، وتقاول حضرتك لتوصيك الى الكونجرس أو الى الوزارة. وفى امريكا فساد لم يسبق له نظير من قبل ولن يكون له نظير فى المستقبل. وفى مقدورك ان تشتري عضو الكونجرس، وعضو مجلس الادارة، ومحافظ الولاية ومدير البوليس فى المدينة، وصاحب القلم وحامل المسدس، ولكن نهار أبوه ازرق من يضبط فى حالة رشوة، ونهار جده اسود من تسوقه الصدف السيئة الى دخول السجن الامريكى.

امريكا باختصار ليست دولة ولكنها قارة، وهى ليست جزءا من البشرية ولكنها البشرية نفسها فى سحرها وفى انحطاطها، فى ظلمها وفى عدلها، فى طموحها وفى اعتدالها، وفى غناها وفى فقرها، فى زهداها وفى طمعها. وهى على عكس الامبراطوريات السابقة اذا سقطت ستجد العالم كله معها، لأن إقتصادها يؤثر فى العالم كله. ودولارها هو العملة الرسمية الآن للكرة الارضية. وأى دولار نضعه فى اى بنك فى العالم تجده مدرجا فى كشف بالبنك المركزى الامريكى.

انها فتوة العالم الجديد والوحيد ايضا. وهى مثل المرحوم ابراهيم كروم فتوة مصر، استطاعت ان تحطم كل الفتوات الآخرين، وان تزيحهم من طريقها، وان تدوس عليهم بالاقدام. ونهار امه ازرق اى زعيم يقف فى وجه اطماعها، أو يتحدى ارادتها، او يخرج عن خطها، وهى احيانا تتدخل بنفسها وحيانا تستخدم صبيانها استخدمت

امتد بنا حتى شهدنا البرسترويكيا تبع العم جورياتشوف. لقد كانت الامبراطورية السوفيتية خيال مائة، ولكنها كانت صمام أمن، وكانت جدارا آيلا للسقوط يستخدمه الغلابة ساترا ضد الطغيان الامريكى، وكانت سلاحا صدنا ولكنه رغم الصدا كان يزود عن الخائفين والمرتعشين ثم جاءت البروسترويكيا لتلقى بخيال المائة على الارض، ولتهدم الجدار الخامس وتكسر السلاح الرديء وختلت الساحة للفتوة الامريكى ولصبياناه العابثين.

ولكن... رب ضارة نافعة. وحسب القانون الالهى. كل شىء هالك الا وجه ربك وحسب قول الشاعر لكل شىء اذا ما تم نقصان. وكما المثل الشائع، ما طار طير وارتفع، الا كما طار وقع. وسيجرى القانون على امبراطورية امريكا كما جرى من قبل على كل الامراطوريات وسيحدث فى الحياة كما يحدث فى المسرح. عندما تصل الاحداث الى الذروة يبدأ الانهيار، واعتقد اننا على ابواب مرحلة بداية النهاية. وكل ما نرجوه هو الا تتحقق مقولة ما تفرحش فى اللى راح الا لما تشوف اللى جاى.

وندعو الله ان يجعل العصر القادم افضل من العصر الامريكى، وان تظفر البرية بعصر جديد، يأخذ فيه كل ذى حق حقه، ويتساوى فيه الجميع فى الحقوق والواجبات وليكن العصر القادم هو عصر البشر وليس عصر الامبراطوريات ولا يمكن الوصول الى هذا العصر، الا بقيام دولة الكرة الارضية فلا حدود ولا جوازات ولا ميزانيات، وانما خير الارض لكل اهلها.

اسرائيل ضد العرب، وحكومة بريتوريا ضد افريقيا، وباكستان ضد افغانستان. والسان سلفادور ضد نيكارا جوا، وجواتيمالا ضد كوبا، وتايوان ضد الصين، وكوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية!

وهى البلد الوحيدة التى تطلق على حكومتها اسم ادارة، لأنها ليست دولة ولكنها شركة، ومواطنوها ليسوا شعبا ولكنهم مساهمون فى الشركة، وكل مساهم يستطيع ان يضاعف حصته بشراء اسهم اكثر، ويخون الحظ بعض المساهمين فيفقدون الاسم تبعهم ويتحولون الى صياح ومتسولين. ونهار امه ازرق من يقع منهم من قعر القفة. لأن الشركات لا قلب لها، ان المصلحة هى سيدة الموقف، وعليك ان تدافع عن مصلحتك بقبضة اليد، او بماسورة المسدس، ولذلك فليس هناك أى فرصة فى حل عادل لأى مشكلة والأمل الوحيد هو فى الوصول الى العدل الامريكى للمشاكل والعدل الامريكى هو الى جانب القوى وضد الضعيف، انه عدل اشبه بقانون الغابة وفى هكذا قانون لا امل اطلاقا فى ان يتخبط الحمار الوحشى على الاسد، او يطارد الارنب الذئب، او تتحدي الغزالة النمر، وعلى من يريد ان يحصل على حقه فى العصر الامريكى ان يكون له مخالف وانياب، وان يكون له زئير. اما الغلابة والذين على باب الكريم فليس لهم اى امل وليس امامهم اى مخرج، الا ان يرضوا بالمكتوب وان يخضعوا للمقسوم، او يطلبوا من امريكا حمايتهم لقاء السمع والطاعة.

وسوء حظنا نحن ابناء هذا الجيل اننا عشنا العصر الامريكى. ووقعنا تحت طائلة العدل الامريكى. وذقنا بعض الخير الامريكى من اول الشيراتون الى فراخ كنتاكي. والخيبة التى هى بالويبة ان العمر

هل يحلم العبد لله؟

اعتقد ان هذا هو الذي سيكون خلال المائة عام. القادمة. وعندما  
يأتى الوقت، سيكون الدين لله، والارض للجميع.

ويا رحيم، يا رحمن، نجنا من العصر الأمريكى.

محمود السعدنى

## الناس الطيبون!!

عندما وضع كولومبس أقدامه على الارض الامريكية كانت امريكا  
كلها شمالية وجنوبية هي أرض الهنود الحمر، وبعد ان عاش  
كولومبس معهم فترة، كتب الى ملك اسبانيا قائلا: هؤلاء الناس طيبون  
جدا ومسالمون جدا، بحيث انى اقسم بجلالتكم انه لا يوجد أمة فى  
العالم افضل منهم، انهم يحبون جيرانهم اكثر مما يحبون أنفسهم،  
كما ان حديثهم شديد الحلاوة واللفظ، ورغم انهم فعلا عرايا، الا ان  
سلوكهم محتشم وجدير بالاطراء.

ولكن هذا الاطراء من جانب كولومبس لم يمنعه من خطف عشرة  
من الهنود الحمر، حملهم معه الى اسبانيا، وقد مات أحدهم بعد  
وصوله الى الشاطئ، الاوربى، ولكنه قبل ذلك كان قد أصبح مسيحيا  
طيبا، ولقد كانت رحلة كولومبس الى امريكا هي بداية النهاية لصنف  
الهنود الحمر. وانتهت المعركة بين البيض والحمر بياادة قبائل  
بأسرها، وضاع كل اثر لقبائل الفيكوت والبوكانكت والاباتشى  
والكوماتشى والموهيكان والغاراغانست والشونى، ولم يدمر البيض  
صنف الهنود الحمر فقط، ولكنهم دمروا الحضارة والتاريخ والعقيدة

والفن، وأبادوا الجنس نفسه، واشترك في عملية التدمير الجيش الأمريكي وتجار الفراء والباحثون عن الذهب والقتلة المحترفون، والمقامرون والمبشرون ورجال اللاهوت، وبلغت وحشية البيض حدا لا مثيل له في التاريخ، إذ تم إبادة قبائل غارا غانست وبنواخ خلال عام واحد فقط وابتدت قبائل البودا وتأمي والكيكاكابو بعد حرب ضارية دامت عشرة أعوام، وكانت قبائل الهنود تقاتل بقيادة الصقر الأسود، وحققوا انتصارات رائعة ضد البيض، ولكن بعض الخونة من الهنود الأحمر خانوا زعيمهم، فسلموه للبيض عام ١٨٣٢ مقابل عشرين جوادا ومائة دولار، وقد أدخلوه السجن ولكنهم قبل ذلك عرضوه للفرجة على البيض في المدن المختلفة، وبعد أن مات في أسره الذي لم يستمر إلا ست سنوات، حصل حاكم منطقة ايوا على هيكله العظمى وعرضه في مكتبه عدة سنوات، وأندروا جاكسون رئيس أمريكا الأسبق، والذي كان الهنود الأحمر يسمونه السكين الحادة، ذبح خلال عمله كضابط عشرات الألوف من الهنود التشيروكي والتشيكتو والسيمونول.

والحق أقول أن مأساة الهنود الأحمر هي أعجب وأغرب مأساة في تاريخ البشر، ففي البدء استقبل الهنود الأحمر القراصنة البيض القادمين من أوروبا بكل الود والترحاب، وعندما جاع هؤلاء الوافدون قدموا لهم الاغذية، وعندما شعروا بالبرد قدموا لهم الاغذية وعندما شعروا بالبرد قدموا لهم الاغطية، وعاملوهم كإخوة وأصدقاء، ولكن شيئا ما في البيض وفي سلوكهم جعلهم ينفرون من صنف البيض عموما، فقد كان هؤلاء الوافدون من وراء البحر ذوو العيون الزرقاء

والشعر الاصفر يكرهون كل ما في الطبيعة من غابات وطيور ووحوش ومروج وأنهار، وحتى الهواء نفسه كانوا يضمرون له حقدا شديدا، وقد اندهش الهنود الأحمر بشدة عندما شاهدوا البيض يتبولون في مجارى الأنهار ويصقون على الأرض ويطلقون النار على الحيوانات دون أن تكون هناك أى حاجة لقتلها، لقد عاش الهنود حياتهم كلها يقدس الطبيعة، ويكن احتراما خاصا للأنهار والتربة وللغابات الحية وللطيور وكان لا يقتل إلا الحيوان الذى يحتاج الى لحمه أو الى جلده، وكانوا يؤمنون بالله السموات العلى، ويعتقدون ان الجنة فى مكان قريب من الله فى السماء، وان بها مروجاً وغابات وجيادا اصيلة وانهارا تفيض بالعسل والسمن، وكانوا يعتقدون ان الميت ينتقل فوراً الى الجنة بعد موته، وكانوا يقدرون الشجاعة ويحتقرون الجبناء، وزعيم القبيلة هو أشجعها، أما صاحب الحكمة فهو المستشار، وكانوا يصطادون الخيول البرية بطريقة لا يعرف سرها إلا الهنود الأحمر أنفسهم، وقد توصلوا اليها بعد دراسة طويلة لعادات الحصان وطبيعة حياته فى البرارى الموحشة، كان الهنود يعرف ان الحصان اذا شعر بالفزع انطلق هاربا بأقصى سرعة، وكان يقطع عشرة كيلومترات على الأقل قبل ان يشعر بالتعب، وعندئذ يضطر الى التوقف، وقد لاحظ الهنود الاحمر على مر السنين ان الحصان الهارب لا يذهب الى اتجاه معين ولكنه يدور فى حلقات، ويقطع المسافة التى يجريها على هيئة قوس، فاذا توقف، توقف فى مكان غير بعيد عن الذى انطلق منه، وبالخبرة والتجربة اكتشف الهنود أن النقطة التى يتوقف عندها الحصان لا تبعد عن النقطة التى انطلق منها اكثر من كيلومتر واحد

وعلى خط مستقيم معها، فكان الهندي يعمد الى افزاع الحصان البرى، فيسارع الحصان بالهرب، بينما يسير الهندي الهوينا فى خط مستقيم، وعندما يقطع الهندي كيلومترا واحدا يكون الحصان المتعب قد وصل الى نفس النقطة منذ دقائق، ويكون الحصان قد توقف ليلتقط انفاسه بعد ان شعر بالامان بابتعاده عن الخطر الذى أفزعه، ولكنه يفاجأ بعد لحظات بالهندي نفسه يقف امامه، فيعود الى الهرب من جديد، وتتكرر القصة مرتين او ثلاث مرات حسب قدرة الحصان وقوته، ولكنه فى المرة الثانية او فى المرة الثالثة على الاكثر يكون الحصان قد نزف انفاسه كلها، ويستولى عليه الشعور بأنه وقع فى قبضة قدر محتوم لا يستطيع منه فرارا، وعندئذ يقف الحصان مستسلما ويستسلم مطيعا، وبعد دقائق يكون الحصان مربوطا بحبل يمشى وراء الهندي الاحمر الى حيث يجرى تدريبه واستئناسه، ولقد حاول البيض اصطياد الحصان بالطريقة الهندية، ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا، فاكتفوا بوضع الفخاخ والكمائن فى طريقه، ولقيت آلاف من الجياد الاصلية حتفها بسبب هذه الكمائن والفخاخ، وكانت قطعان البقر الوحشى تجوب الارض الامريكية بحثا عن المرعى والماء فى قطعان كبيرة، يربو عددها أحيانا على عدة ألوف، وكان الهنود الاحمر على علم تام بمواعيد هجرتها وبالطرق التى تسلكها تلك القطعان، وكانوا يصنعون لها الكمائن فى الطريق، ويبدأون صيدها عندما تستقر هذه القطعان فى الاماكن التى تلجأ اليها وكانوا يصطادون العدد الذى يحتاجون اليه، ثم يتركون القطيع يرعى فى هدوء ويذهبون الى حال سبيلهم، ولكن الذى ادهش البيض حقا، هو ما لاحظوه خلال

عملية الصيد، فقد كان الهندي الاحمر يوجه سهمه القاتل الى البقرة التى وقع اختياره عليها فتسقط مكانها، ثم تتوالى السهام وسقوط البقر دون ان يحرك القطيع ساكنا او يلجأ الى الهرب، بينما كانت رصاصه واحدة من البيض تجعل القطيع يفر هائما فى البرارى، ومات عشرات من الصيادين البيض اثناء عملية الفرار هذه بسبب الفزع الذى ينتاب القطيع ويذهب به الى حد الجنون احيانا، ولم يكتشف البيض السر الهندي فى اصطياد البقر الا بعد فترة طويلة من الزمان، وكان الفرق بين الطريقة الهندية والطريقة الاوربية هو الفرق نفسه بين المعرفة والجهل، والتجربة والخيبة، كان الهنود الاحمر يدركون ان لكل قطيع قائدا من البقر يتبعه كل القطيع، اذا توقف القائد توقف القطيع واذا فر القائد فر القطيع وكان اول سهم يوجهه الهندي فى عملية الصيد يكون دائما من نصيب القائد، ثم تتوالى عمليات الصيد بعد ذلك دون ان يفر الجميع، لأن القائد لم يفر، ولأن القطيع منتشر على مساحة خمسة كيلومترات على الاقل، لم يدرك بعد ان القائد قد قتل، ولكن البيض لم تكن لديهم هذه الحاسة لمعرفة قائد القطيع، فكانوا يصطادون البقر بطريقة عشوائية، فكانوا يقتلون عشر بقرات مرة واحدة ثم ينطلق القطيع هاربا لا يلوى على شىء..

## في سبيل الرب



وكان من عادة الهنود الحمر إقامة مهرجان كل عام اسمه مهرجان التأهيل الحياة، وفي هذا المهرجان كانوا يزوجون الرجال الشيوخ بالبنات الابكار، ويزوجون النساء المسنات بالشباب الناضج، وكان هذا الزواج لا يستمر اكثر من عام واحد، تكتسب فيه البنت البكر الخبرة من الرجل العجوز، ويكتسب فيه الشباب الخبرة من السيدة المسنة، وفي العام التالي يتزوج الشبان الاقوياء من الفتيات الصغيرات، وتبدأ دورة حياة جديدة مدعمة بالتجربة والخبرة، وكان يحلو للهندي العجوز ان يختار يوم وفاته، وكان غالبا يختار يوما ربيعيا جميلا، طقسه معتدل وشمسه مشرقة، في ذلك اليوم كان الهندي العجوز يودع أهله، ويحمل معه الزاد الذي يحتاج اليه في رحلته الى الدار الاخرة، ثم يصعد وحيدا الى قمة الجبل، وهناك يتمدد في هدوء ويتطلع الى السماء ويتمتم في صوت خافت، هذا يوم طيب يصلح لانتقال المرء من هذا العالم الارضى الى جنة الله في السماء، ثم يغمض عينيه ويموت في هدوء.

وكانت الحرب تدور بين القبائل الهندية بين الحين والآخر، وكانت



الحرب وسيلتهم لافراز جيل جديد من الزعماء والقادة. وكانت لهم تقاليد رفيعة وشديدة الرقى لم تعرفها جيوش البيض في حروبها الا قريبا، كانوا لا يقتلون اسيرا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، ولا يطعنون احدا من الخلف، ولا يباغتون قبيلة، وكان من عاداتهم اثناء المعركة سلخ جلود رعوس القتلى من قبائل الاعداء، وكان كل هندي منهم يزهو بعدد فروات الرأس التي في حورته ولكنهم كانوا يعفون عن سلخ فروة رأس المقاتل الشجاع، احتراماً لشجاعته وتقديراً لقلبه الذي لا يخشى الموت، اما الجبان الذي يفر من المعركة، فهو لا يجلب العار على نفسه، ولكنه يجلب العار على القبيلة كلها، وغالبا كانت القبيلة تتولى قتله بنفسها، وكانوا يعيشون في مجتمع بدائي ينتج فيه الجميع وتتوزع فيه خيراته على الجميع بعدل شديد، وكانوا يحترمون كبار السن ويستمعون الى نصائحهم ويستفيدون من خبرتهم. كان الهندي الاحمر يعامل النساء باحترام شديد ولطف اشد، ولذلك رفضت مئات من النساء البيض اللواتي وقعن في اسرهم ان يتركن ازواجهن الهنود، ورفضن العودة الى مجتمع البيض بسبب المعاملة الطيبة والاحترام البالغ الذي كان يبديه الهندي لنسائه. وكان الهنود الحمر لا يأكلون الا الطازج من الطعام ويشربون اللبن المحلوب فور حلبه، ويأكلون الخبز الذي يصنعونه بأيديهم فور نضجه، وكان من عاداتهم اقامة الحفلات والافراح كل ليلة يغنون فيها ويرقصون، وكان اذا مات الهندي في الحرب، تاركا خلفه عدة زوجات، انتقلت الزوجات على الفوز الى شقيق الميت واذا لم يكن له اشقاء انتقلت الى اولاد العم، أو الى العم نفسه، وكان من حق الهندي ان يتزوج اي عدد من

النساء مادام انهن راغبات في الزواج منه فقد كان اختيار شريك الحياة من حق الزوجة وليس من حق الزوج، وكانت الزوجة اذا رغبت في الافتراق، تركت بيت الزوجية ولجأت الى بيت رئيس القبيلة، وكان من حقها عند ذلك ان تختار من تشاء ليكون زوجها لها، وكان مهرها هو عدة خيول وعدد من الابقار وعدد من فراوى الرأس قطعها المرشح للزواج في معاركه ضد الاعداء، وكان الهندي اذا قطع عهدا على نفسه نفذه، واذا قاتل لا يتوقف عن القتال الا اذا قتل عدوه أو مات، وكان اذا اختلف مع قبيلته لاي سبب من الاسباب، لا يلجأ الى اعداء قبيلته على الاطلاق ولكنه يعيش وحيدا في البراري حتي يتم الصلح مع قبيلته فيعود ادراجه كما كان، وكانت للهنود فنون راقية، ولا تزال بعض رسومهم باقية كما هي داخل الكهوف المنحوتة في الجبال، وكانوا يتزينون بالريش ويعشقون الالوان الزاهية ويؤمنون بالسحر ويتداونون بالاعشاب البرية، وكانوا اول من اكتشف الطباق ودخنوه، وكانوا يعيشون كما قال احد زعمائهم (في غاية السعادة والحب حتى جاء هؤلاء الوافدون من وراء البحر فجعلوا من الحياة محنة وأحالوها الى جحيم) والمأساة ان هذا الذي حدث للهنود من جانب البيض لم يكن له مبرر ولاى سبب، اللهم الا جشع البيض وطبيعتهم العدوانية واحتقارهم الشديد لغيرهم من البشر!

من يريد ان يفهم لغز أمريكا، عليه ان يعود قليلا الى الوراء. الى اللحظة التي رست فيها اول سفينة على الشاطئ الأمريكى، قادمة من الشاطئ الآخر للاطلنطى.. لحظتها كانت أمريكا مجرد كيان جغرافى، قارة مترامية الاطراف، مترامية السكون، هادئة وعذراء،

غنية الى اقصى حد، وممتلئة الى حد الشبع، تسكنها قبائل شديدة الشبه بقبائل العرب فى الجاهلية، قبائل وكل قبيلة لها زعيم، وكل زعيم له شارة، وهم يتكلمون لغة واحدة ولهجات شتى، ولهم فنونهم وأدبهم، ويزاولون السحر ويمارسون الطب، ولهم عادات وتقاليد، ويقدمون الشجاعة ويتقبلون الموت برحابة صدر، ويحبون الورد والزهور، ويعيشون فى امان واطمئنان، وربما توهموا انهم وحدهم على كوكب الارض، وانه لا شىء فيما وراء البحر.. الا البحر وأمواجه واعماقه وسره الدفين! هكذا كانت قارة امريكا لحظة رست اول سفينة قادمة من الشاطئ، الآخر تحمل على ظهرها عصابة من حثالة قارة أوروبا، مهاجرين بحثا عن الرزق وهاربين من أحكام قضائية، ومجرمين خارجين على القانون، ومغامرين سئموا الحياة فى الارض القديمة التى أجدبت، وجاءوا يضربون فى المجهول عن حياة أفضل ومستقبل مضمون!! ومع هؤلاء كان هناك عدد من المبشرين جاءوا يصرخون فى البرية أعدوا طريق الرب مهدوا سبله مستقيمة! وكان الجميع على ظهر السفينة مسلحين من الرأس حتى اخمص القدم، خناجر ومطاولى وبنادق ومسدسات ومدافع، حتى اصحاب القداسة كانوا مسلحين بالأناجيل والصلبان والمسدسات. ولم لا؟ وقد جاءوا فى مهمة فى سبيل الرب، فى سبيل الرب سيفعلون اى شىء وكل شىء، وهم بالتاكيد فعلوا ذلك، لم يتوانوا ولم يتهاونوا، وعلى المعابد البدائية للهنود الحمر اقاموا كنائسهم، وعلى اشلاء الملايين من سكان البلاد الاصليين شيدوا اديرتهم، واختلطت انعام الاورغن وتراتيل صلاة عيد القداس بصياح الجرحى من الهنود الحمر وانات

الذين حصدهم الرصاص بالالوف وداست عليهم حوافر الخيل بلا رحمة! المهم انه لحظة رست السفينة اول مرة على الشاطئ، الامريكى لم يكن على ظهرها من حضارة العالم القديم الا المسدس والانجيل. ومن هذه اللحظة والى الابد ستلعب كل اداة منهما دورا مهما ومؤثرا فى حياة امريكا! وسيكون المسدس فى المقدمة والانجيل بعد ذلك، ولكن كل منهما سيكمل مهمة الآخر، وسيكون التعاون بينهما على اكمل وجه!

تلك، كانت البداية، ولكن النهاية جاءت افضل مما كان يرجو هؤلاء الرواد، تم ذبح الهنود الحمر عن بكرة أبيهم، حتى الذين القوا السلاح وعقدوا المعاهدات معهم، انقضوا عليهم وذبحوهم بعد ذلك، فلم يكن هؤلاء المهاجرون. البيض ينشدون السلام، ولكنهم كانوا يريدون الارض!! وتحرك البيض على ثلاثة محاور لتحقيق هذا الهدف، اباده الذين هبوا يدافعون عن ارضهم، وتحييد الذين لم يفهموا حقيقة الامر، واستمالة الذين فى قلوبهم مرض!! استمالوهم بالويسكى وبالسلاح، وهو سلاح استخدم اغلبه فى اباده هنود اخرين، مستغلين حب الهنود للزعامة، وسعيهم للرئاسة، وشغفهم الشديد بقيادة الاخرين! ولم يكن هناك فى تلك الوقت رأى عام عالمى ولا صحافة مؤثرة، ولا راديو ينقل الاخبار، ولا امم متحدة، او حتى متنافرة، كما انه لم يكن هناك قانون يحكم العلاقة بين اصحاب الارض وهؤلاء الذين جاءوا من وراء البحر. كان كل منهم قاتلا او مقتولا، وكان قتل البنى ادم لا يكلف اكثر من رصاصة، وكانت الرصاصة لا تكلف اكثر من خمسة سنتات، ولذلك، كان البيض يتسلون احيانا بقتل قبيلة

صغيرة، وأحيانا كانوا يتراهنون على قتل عائلة هندية ترعى على شاطئ النهر! وكان القتل أداة لتبديد السأم، ووسيلة لشغل أوقات الفراغ!

وهكذا. ومن خلال أكبر جريمة عرفها تاريخ الانسان، قامت امبراطورية أمريكا ولا تزال، امبراطورية العنف والعافية، العضل والقبضة، القوة والعنفوان! وبدلا من السهول امتدت الشوارع، ومحل الجبال قامت ناطحات السحاب، وبدلا من الحصان انطلقت السيارات من كل نوع! وفي اول ايام الاستقرار كان البيض يختارون اشرس المجرمين لتولى منصب العمدة، وبعض هؤلاء كان يجمع بين العمدية والقضاء! وفي تاريخ امريكا صفحات مطولة عن ثورات هبت ضد عمد، وضد قضاة وانتهت بشنقهم على أغصان الشجر! فهذا الشعب الذى احترق القتل لم يكن من السهل قياده الا بواسطة قتلة لهم تاريخ عريق فى الاجرام! ولقد توارثت الدولة الجديدة الروح نفسها، وشرطة امريكا هى اغرب شرطة فى العالم، وسحب المسدس اسهل من سحب سيجارة، وقتل مواطن فى الطريق أهون من قتل ذبابة! ولذلك ينصح السائح والغريب ان يستسلم على الفور اذا امره شرطى بذلك، والا يحاول ان يدس يده فى جيبه لاستخراج منديل او علبة سجائر، لان وضع اليد فى الجيب معناه فى السلوك الامريكى انك تشرع فى سحب المسدس، وعندئذ يكون من حق الشرطى اطلاق النار عليك.. ولا تثريب عليه! ولذلك ايضا ستجد فى جيب كل مواطن امريكى سلاحا يدافع به عن نفسه، ويعتدى به على الاخرين، حتى الفقراء منهم يحملون شفرات حلاقة من النوع الذى كان يستعمله

الحلاقون ايام زمان! وفى كل بيت ستجد مدفعا رشاشا على الاقل، ومسدسا سريع الطلقات، وبندقية آلية، حتى مظلات السيدات تجد لها سنونا مدببة تخترق قلب الأبعد اذا لزم الامر! ولهذا السبب لن تعثر بسهولة على متسول فى أمريكا، ولماذا يتسولون؟ اذا كان العاطل يستطيع ان يأكل عيشه بمسدس، والضائع يستطيع ان يشق طريقه فى الحياة بخنجر، كما ان المدفع الرشاش هو خير وسيلة للسيطرة على الجماهير، والعصابات هى طريقك الى مجلس النواب ومجلس الشيوخ ورئاسة الدولة، وهى ايضا الوسيلة الوحيدة للوصول الى قيادة النقابات العمالية والنوادي الرياضية ولذلك فكل مدينة فى الولايات المتحدة هى غابة من الاسمنت المسلح، وهى غابة اكثر خطرا من غابات افريقيا، وأشد شراسة من احراش الأمازون!

ان الامبراطورية التى قامت على القتل، ستظل تمارس القتل حتى النهاية ولن تعرف من أين يأتيك الموت، من العصابات ام من الشرطة؟ من الشعب ام من الحكومة؟ فالكل قاتل والكل مجرم. وعساكر الشرطة يشاهدون فى المطاعم يتناولون طعامهم ومسدساتهم على الطاولة، والمجرم يقضم الساندويتش بيساره ويمينه فى جيب معطفه استعدادا للطوارئ! وسائق التاكسى مسدسه فى جيب بنطلونه، والساقى فى البار مسدسه فى درج أمامه محشو مستعد للاطلاق فى أى لحظة، وربة البيت تسحب مسدسها من تحت الوسادة اذا دق جرس الباب بعد التاسعة مساء! وينصحك مدير الفندق الذى تنزل فيه بعدم الخروج وحدك ليلا، وينصحك بعدم الوقوف على باب الفندق بعد الحادية عشرة مساء! وينصحك الجميع بعدم استخدام مترو

اجبن من ان اذهب. واضعف من ان اعتمد على نفسى، وليس احب على قلبى من ان اراك يوما جثة ممزقة بفعل الرصاص. ولم يتركه جونى يستمر، اخرج مسدسه وافرغه فى دماغه، وفقد آخر صديق! وهذه هى عينة من مجرمى امريكا، مجرمون بلا طعم وبلا لون، مجرمون فقط، مجرمون لاكثر ولا اقل. واذا كان الاناء ينضح بما فيه. فالمجرم الامريكى هو نتاج المجتمع الامريكى، وهو نموذج الشخص الامريكى، هذا الذى انحدر من سلالة المهاجرين الاوائل، الذين ذبحوا قبائل باسرههم ولم يخفق لهم قلب، وابدوا شعبا باسره ولم يرمش لهم جفن. وهؤلاء هم الذين ارتكبوا مذبحه هيروشيما دون اى قلق! وارتكبوا مذابح فينتام دون اى عذاب، وقتلوا الملايين فى كوريا وفى شيلى وفى جواتيمالا وفى بوليفيا وفى الكونغو دون اى احساس. فالهم ليست الخسائر، المهم النتائج، والامريكى الحقيقى يقول لك فى خيلاء لولا اباداة الهنود الحمر لما كانت امريكا، ولولا امريكا لما كانت حضارة القرن العشرين! لقد خضنا فى بحر الدماء لكى نصل الى القمر والى الكواكب. وما قيمة الهنود الحمر امام تفتيت الذرة ونتاج مركبات الفضاء؟

هذه هى النفسية الامريكية وهذا هو المزاج الامريكى، وهذا هو التاريخ الامريكى بلا ديكور ولا تزويق! سلسلة متصلة من الجرائم، وهى جرائم ادت الى الخير فى النهاية من وجهة النظر الامريكية. ولذلك... عبثا تحاول استدرار عطف امريكا على شعب فلسطين، وعبثا تحاول دفع امريكا الى الوقوف فى صف قضية السود فى جنوب افريقيا. فامريكا ترى فى اسرائيل شبابها الاول، انها كالكاتب

الانفاق الا اذا كنت ضمن شلة، انه الخوف يحكم المدينة ويحكم الولاية ويحكم الامبراطورية كلها. وهم يخافون القتل ويمجدون القتل. وكما كان حسن الامام مخرج الروائع يحتفل بالراقصات ويكتب تاريخ مصر من خلال صلاة بديعة. كذلك فعلت هوليد، فهى تكتب تاريخ امريكا من خلال الجريمة، وتؤرخ للولايات المتحدة من خلال قصص حياة اشهر المجرمين! وهم مجرمون لا كمثلهم مجرمون فى اى مكان. فى انجلترا مثلا يحتفلون بروبين هود، كان مجرما يحب الفقراء ويعطف على الضعفاء، وكان يسرق من الاغنياء ليعطى المعدمين! وارسين لوبين فى فرنسا كان لصا شريفا يسرق الاثرياء ليعطى الفلاحين. ولكن دلنجر فى امريكا كان شيئا اخر مختلفا. لصا حقيرا يتحاور بالمسدسات، ويتفاهم بالمدفع الرشاش، وهو يقتل الذين يقفون فى وجهه والذين يقفون من ورائه! وهو لا يرحم الذين يعملون ضده والذين يعملون معه. وهو قتل اعنى خصومه واخلص اصدقائه، وهو اخذ من الجميع ولم يعط احدا شيئا، وسلمته للموت البنت التى كانت تحبه، عندما اكتشفت انه لا يحب احدا ولا يتعلق بأحد، وانه مجرم هوايته القتل ومهنته السرقة! وجونى ايجر مجرم عتيد فى حياة امريكا كان سائق تاكسى فى النهار وملكا من ملوك الجريمة فى الليل، وكان يشرف على امبراطورية من كازينوهات القمار، وبيوت الدعارة وشبكات لتزييف العملة، ومافيا لفرض الاتاوات! وبلغ من فرط وحشيته ان هجره الكل وتركه الجميع، ولم يبق معه الا صديق واحد كان يبكى الليل كله وينزوى فى احد الاركان النهار كله. وعندما صرخ جونى ايجر فى وجهه لماذا لا تذهب انت الآخر؟ رد وهو يبكى لاننى

العظيم الذي يصادف كاتباً شاباً يذكره بشبابه، فيسارع إلى تقديمه وتدعيمه واحتضانه. وإذا كانت إسرائيل قد أبادت نصف الشعب الفلسطيني فإن جريمتها هي نصف جريمة أمريكا والأمريكي عندما تناقشه في هذا الأمر، يظن أنك ابله أو ربما معتوه. وماذا في إبادة نصف شعب؟! إذا كان الثمن هو قيام إسرائيل قمة التمدن في صحراء القرون الوسطى، وبيداء الجهالة والاستبداد! إن المسألة ليست شفقة وليست إنسانية أنه منطوق القوة، والأمريكي مع القوى، وهو مع الغالب، لأن التاريخ نفسه لا يقف إلى جوار الضعفاء والمهزومين. المهم هو النوع الإنساني، ليس مهماً من الذي ذهب؟ ومن الذي يجيء؟ بل المهم من الموجود الآن؟ وماذا يفعل؟ ولذلك لن تجد الحكومة الأمريكية صعوبات في اقناع الرأي العام الأمريكي بضرورة إبادة شعب العرب لأنهم يحتكرون النفط ويهددون مستقبل أمريكا ووضعها الممتاز! ولن تجد صعوبة في اقناع الرأي العام بضرورة إبادة الروس لأنهم العقبة في طريق أمريكا لفرض سيطرتها على العالم واحكام قبضتها على الكون! فالأمريكي مستعد لأن يسمع كلمة «إبادة» دون أن ينبض فيه عرق. المهم أن تكون «الإبادة» مضمونة وطريقها سهل ومهم أكثر أن تتم الإبادة دون خسائر جسيمة للجانب الأمريكي. وإذا كان جد الأمريكي الأول قد أباد صنف الأباتشي والكومانشي وجلس في أرضهم يصطاد السمك ويربى الدجاج. فليس صعباً أن تقنع الحفيد بإبادة جنس العرب وجنس الأفريكان، خصوصاً إذا أكدت له أن في هذه الإبادة مصلحة لتطوير المدنية وفائدة لعملية الارتقاء بالحياة!

غريبة، اليس كذلك؟ ولكنها أمريكا القاتلة. أمريكا التي ذبحت شعباً بأكمله. وداست على حضارة زاهرة، واذابت جنساً من اجناس البشر، واقامت حضارتها على اشلاء وعظام وجماجم عشرات الملايين، ثم اعتبر الأمر كله بعد ذلك طبيعياً، وانطوت صفحة الجريمة وكأنها لم تكن، ثم امتد التزييف بعد ذلك إلى سجلات التاريخ، وتحولت الجريمة إلى عملية جراحية كانت ضرورية من أجل نمو المدنية وتطوير الحضارة!! وكما المريب يكاد يقول خذوني ستجد على ابواب أمريكا الآن تمثالاً يحمل شعلة موقدة في يده، ويسمونه تمثال الحرية! الحرية؟! ولم أجد معنى لهذا التمثال بعد شهر كامل قضيته في أمريكا إلا أن تكون حرية المهاجرين من خلف البحر في إبادة سكان الأرض الأصليين!! وبهذا المعنى فقط انطلقوا، وتمتعوا بحريتهم على أكمل وجه! ويا ايها الحرية، كم من الجرائم ترتكب باسمك!!

## نهر البرعم



ولقد قدر للعبد لله ان يشهد بقايا أسوأ جريمة ارتكبها جنس البيض من البشر ضد جنس آخر، كل جريمته انه من لون مختلف. ولم يبق من شعب الهنود العظيم في قارة امريكا المتسعة الارحاء الا سكان هندوراس وبوليفيا وكولومبيا والمكسيك. اما الذين بقوا منهم في الولايات المتحدة، فقد ذابوا في المجتمع الامريكى، يرتدون الجينز ويدخنون البايب ويرقصون على انغام الروك اندرول. ولكن الحكومة الامريكية لانها بلا تاريخ ولانها عديمة الاصل والفصل، فقد حرصت على اقامة مستعمرة هندية لزوم فرجة السياح، وداخل المستعمرة يقوم بعض الهنود الحمر بتمثيلية كاملة عن حياة الهنود الحمر قبل مجيء البيض من وراء البحار. فالزعيم يجلس في الخيمة، على رأسه تاج الريش وفي يده غليونه وحريمه بين يديه، وفي انحاء قرية الهنود عشرات من الشغيلة. بعضهم يدبغ الجلود، وبعضهم يطهى الطعام، وبعضهم يقوم بترويض الخيل. صورة كاذبة عن مجتمع الهنود في سالف الزمان. فلم يكن الهنود الحمر من هذا الطراز من البشر، يتكئون على المساند ويقضون وقتهم مع الحريم. فقبل مجيء البيض

من وراء البحار، كان لدى الهنود الحمر مهنتان رئيسيتان ومقدستان ايضا. العمل، والقتال. كان الهندي في أيام السلام يعمل بلا كلل، يصطاد في الغابة، يصنع فراشا ولباسا من جلود الحيوانات، ويصنع سلاحا من عظامها وقرونها، وكان يزرع الارض بالحبوب والدخان. وفي وقت الحرب كان يتحول الى مقاتل شرس، وكان المحاربون من طراز خاص، يستهين بالموت ولا يتردد في النزال مهما كان حجم العدو أو قوته. وبالرغم من الهزائم التي نزلت بهم وقصمت ظهورهم، الا انهم لم يتوقفوا عن المقاومة في اية لحظة، ولم يجبنوا في أى وقت. وفي تاريخ الهنود الحمر يلمع عشرات من القادة العظام الذين حاربوا حتى آخر نقطة دم منهم (السحابة الحمراء) و(الحصان المجنون) والزعيم (تاتانكا يوتانكا) ومعناها الثور الجالس وكان (الذيل المرقط) هو زعيم قبائل التيتون وكان (الغراب الصغير) هو زعيم قبائل الآرا باهو، وكان (الذئب الوحيد) هو زعيم قبائل الكيوا، وكانت قبائل الكومانش يقودها الزعيم (كوانا باركر) أما الزعيم (كولورادو) فقد كان يقود قبائل الاباتشى، ثم ظهر من بعده الزعيم (جرينيمو) وهو الزعيم الذي اهتمت به استوديوهات هوليوود وانتجت عنه اكثر من عشرة أفلام. اما قبائل ايل بوت التي كانت تسكن الاريزونا فقد كان يقودها الزعيم (اوراي) وهو من بين الخونة القلائل في تاريخ الهنود. فقد حارب البيض فترة ثم انضم الى جانبهم ضد ابناء جنسه، واشتغل مع افراد قبيلته كجنود مرتزقة في الجيش الامريكى ضد القبائل الاخرى. ولقد حارب جميع الهنود بشجاعة، وكالاشجار...

ماتت الغالبية العظمى منهم واقفين. اما الذين خدعوا بوعود البيض، فقد لقوا نهاية محزنة ومؤلمة. وفي تاريخ الهنود الحمر قصة مشهورة، بطلها آخر زعماء الهنود الحمر الذين قادوا المقاومة ضد البيض وهو الزعيم جرينومو.

فقد حارب البيض ثم وقع المتعاهدات معهم ثم حاربهم مرة اخرى ثم اضطر الى الاستسلام لهم بعد ان اقنعوه بانه سيعيش حراً في موطنه الاصلى كمواطن امريكى، ولكنه بعد ان وضع السلاح وسرح جيشه، القوا القبض عليه واخذوه عنوة مع قبيلته الى فلوريدا، حيث الرطوبة والحرارة والجو الخانق، وحيث كانت تعيش هناك بقية قبائل الاباتشى والكومانش. وعندما احتج على نقض العهود. سجنوه، ومات مصابا بالسل وهو مقيد في الاغلال.

ولقد قدر للهنود الحمر ان يبرهنوا على شجاعتهم وعلى شدة مراسهم في القتال في معركة نهر البرعم. ولم تكن معركة بالمعنى الصحيح ولكنها كانت مذبحة لجيش الولايات المتحدة بقيادة الجنرال الامريكى الطفل كاستر الذى كان يلقب بجزار الهنود، وكان كاستر قد رقى الى رتبة جنرال وهو فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره، ولذلك اطلق عليه جنرالات الجيش القدامى الجنرال الطفل، فقد كانوا يكرهونه لرعونته واندفاعه وعدم مبالاته بالاطار. ولكن حكومة الولايات المتحدة كان لها رأى آخر فى طفلها المدلل، كانت تنظر اليه باعتباره الجزار المناسب لذبح صنف الهنود وابدانهم، وكان هو عند حسن ظنها، واثبت فى معاركه ضد الهنود انه الرجل المناسب لهذه

الا ان يقاتل بالبنائيق والسلاح الابيض او يلجأ الى الفرار معرضا جيشه لخسائر رهيبية، ولكن كاستر الاحمق المغرور قرر ان يخوض المعركة ومهما كان الثمن. وعلى ضفاف نهر البرعم الذي تحول الى نهر من دماء البشر، دارت المعركة بين كاستر والثور الجالس، وانتهت نهاية اجبرت امريكا على تنكيس اعلامها، وصار يوم المعركة يوم حداد عام في كل الولايات. لقد ابعد الجيش الامريكى الذي شاء له حظه النحس دخول هذه المعركة. وبلغ عدد القتلى اكثر من ثمانية عشر الف جندي، اما المئات الذين نجوا من القتل فقد وقفوا يتضرعون للهنود الحمر ان يأخذوهم اسرى، وابدوا استعدادهم للعمل عند الهنود الحمر كخدم، ولكن (الثور الجالس) رفض ان يأخذ اسيرا واحدا منهم وامر بقتلهم جميعا، وفتش الهنود الحمر بين جثث القتلى حتى عثروا على جثة الجنرال كاستر وقد اصيب بسهم في قلبه، وعندما تقدم احد المحاربين الهنود لينزع فروة رأس الجنرال جريا على عادتهم، نهاه الثور الجالس بشدة، وامر بان يدفن بما يليق به كقائد احتراماً لشجاعته وتكريماً لذكراه كمقاتل لم يجبن ابدا عن خوض الحرب!!

وثارت ثائرة البيض في العاصمة الامريكية وجردوا حملة للثأر وتمكنت هذه الحملة من ابادة عدة الوف من الهنود المسالمين الذين لم يشتركوا في المعارك. والاغرب ان معظمهم كانوا من النساء والاطفال. وحينما احترم الهنود الحمر عدوهم الاكبر كاستر فلم يسلخوا فروة رأسه احتراماً لشجاعته. نجد العكس تماما في سلوك البيض، فلم

المهمة، ولذلك لقبه الهنود بالجزار، وفي الوقت نفسه كانوا يحملون له كثيرا من الاعجاب لشجاعته، وبعض القادة الهنود كان يشعر نحوه بكثير من الاحترام، لاستهانته بالموت ولجلده على القتال، كانت معركة نهر البرعم هي واحدة من اعظم المعارك واشرسها التي دارت بين البيض والهنود الحمر. ففي نقطة ينحني فيها النهر ويرسم قوسا التقى الجيشان ذات صباح، جيش البيض المكون من عشرين الف رجل بقيادة الجنرال كاستر وجيش الهنود الحمر الذي يضم محاربين اشداء من قبائل السو والبرولا والمنكنوا واسان ارك والشايان وتحت قيادة الزعيم الهندي (الثور الجالس) بدأت المعركة بمناوشات بين الفريقين استمرت عدة ساعات ثم لجأ البيض الى استخدام المدفعية الثقيلة، وعندما حل المساء لجأ الزعيم (الثور الجالس) الى حيلة خدع بها الجنرال كاستر، فقد اوعز الى جنوده بالفرار من ارض المعركة في صورة شرانم مذعورة، وان يسلك المنسحبون كل الطرق وان يذهبوا في كل الاتجاهات، وانطلقت الحيلة على الجنرال كاستر. فقد تصور ان الهنود اصيبوا بضربة قاصمة، وانهم تحولوا الى فلول، ويات ليلته على امل ان يطاردهم في الصباح ليقتلهم جميعا مرة واحدة والى الابد. ولم يكد نور الصباح يضيء حتى كان جيش الهنود يحيط بمعسكر كاستر من كل الجهات. وعندما ادرك كاستر الموقف بوضوح، كان الوقت متأخرا. لقد افلح الجنرال الهندي (الثور الجالس) في ابطال مفعول المدفعية الثقيلة، لان المسافة بين الجيشين لم تعد اكثر من عدة امتار ولم يعد امام كاستر



يحدث ابدا ان احترموالى شىء أو اى احد. وقد صرخ الزعيم جرينومو عندما عاد الى قريته بعد احدى المعارك واكتشف ان البيض اغاروا على قريته وهو مشغول بالمعركة وانهم احرقوا منزله عن اخره وقتلوا زوجته واطفاله. وقف الرجل يصرخ على اطلال منزله «لقد حاربت طويلا وكثيرا ولكنى لم اقتل فى حياتى امرأة أو طفلا او شيئا عجوزا أو مقاتلا بلا سلاح، ان هؤلاء البيض ليسوا بشرا ولكنهم شياطين على هيئة بنى آدميين».

## الحضارة والصياغة

وكانت معركة نهر البرعم هي صحوة الموت بالنسبة للهنود الحمر، فلم يحدث ان قامت لهم قائمة بعد ذلك، واشتدت حملات البيض ضدهم حتى تمكنوا اخيرا من حصارهم فى مستنقعات فلوريدا، وبعض الهنود الذين تركوهم يعيشون فى اريزونا واجبروهم على ارتداء ملابس البيض وقبعاتهم، وظلوا يتسكعون بلا وجهة وبلا عمل، وسخر احدهم من حاله فقال «لقد البسونا ملابسهم ومنحونا إلههم لنعبده واعطونا كتابهم المقدس لنقرأه وحرموا علينا الزراعة والصيد وفرضوا علينا العيش على اعانة الحكومة، ثم قالوا لنا الآن تحضرتم، ولم اكن اعلم ان الحضارة والصياغة وجهان لعملة واحدة!»

لقد انتهت مأساة الهنود الآن لسبب بسيط للغاية، وهو ان الهنود انتهوا وستفشل الآن فى العثور على هندي احمر واحد فى انحاء الولايات المتحدة لانهم يحاولون اخفاء اصلهم. ولكن العبد لله عثر على احدهم فى طائرة عملاقة اقلتني من نيويورك الى لوس انجلوس، قدم لى نفسه فى البداية على انه مكسيكى الاصل، وخلال الحديث عرفت منه انه مهندس رى وانه يعمل فى شركة كبرى تتولى تحويل

بما انتجوه من افلام ومسلسلات، وهم يريدون تبرير جريمتهم ضد الهنود على اساس انهم كانوا مجرد حيوانات بلا لغة ولا فن ولا تقاليد من اى نوع، فالهندي فى افلامهم همجى بلا شرف وبلا اخلاق، وهو فى افلامهم يغتصب النساء ويقتل الاطفال ويقطع طريق البيض المسلمين ويجز رقابهم بلا رحمة. والحقيقة ان كل ما نسبوه للهنود فى افلامهم كان من صنعهم، والذي ساعد على اباده الهنود انهم احترمو تقاليدهم واحترموا قيمهم، ولو انهم بادلوا البيض وحشية بوحشية وانحطاطا بانحطاط، فربما نجوا من المصير الاسود ولكنهم رغم كل الظروف لم يغتصبوا امرأة بيضاء قط، بينما لم تنج امرأة هندية وقعت فى ايدى البيض من الاغتصاب ولم يسكن المهندس الهندي الا عندما هبطت الطائرة فى مطار لوس انجلوس، والغريب انه لم يترك لى اسمه او عنوانه، باعتبار ان الثرثرة فى الطائرة اذا كانت ضرورية فالحذر اوجب! الهندي الاخر الذى التقيت به كان يرتدى بالفعل ملابس الهنود الحمر التقليدية. وكان اللقاء فى بغداد وفى مؤتمر عالمى لمناصرة العراق احتجاجا على ضرب اسرائيل للمفاعل النووى وقد حضر المؤتمر العالمى وفود من كل مكان. وكان من بينها وفد الهنود الحمر. واقول الحق، لقد ركبنى هم شديد بعد هذا اللقاء. روى الرجل مأساة الهنود الحمر بالتفصيل كان للمأساة اسباب كثيرة، من بينها وحشية البيض واصرارهم على اباده جنس الهنود.

مجارى الانهار واقامة السدود عليها، وبعد ثلاث ساعات من الطيران فتح الرجل قلبه للعبد لله عندما علم اننى من مصر، ودهشت عندما علمت انه من الهنود الحمر، وان والده توفى منذ حوالى ثلاثين عاما وهو يرتدى زيهم. كان المهندس الهندي الذى يبلغ الخمسين من العمر من قبائل الشايان فى يوم من الايام، ونجا ابوه من معارك الابداء لانه كان طفلا، ولكنه ظل الى اخر يوم من عمره يذكر الايام السوداء ويحفظ تفاصيلها، وازدادت دهشتى عندما علمت ان المهندس الهندي معجب بعبدالناصر وبالعظيم كاسترو وقال لى المهندس الهندي انه يعانى الاضطهاد حتى الآن، ولكنه اضطهاد على الطريقة الامريكية، تشعر به ولا تراه، انهم يسمحون لنا بالتقدم للوظائف الحكومية، وندخل الامتحان وننجح بدرجات كبيرة، ولكن من حق الحكومة بعد ذلك اختيار الموظفين من بين الناجحين، ولان حظوظنا سيئة، فلم يحدث ان وقع اختيار الحكومة على احد من الهنود الحمر الناجحين. لذلك سترى فى الحكومة الامريكية موظفين زوجا وموظفين من اصل يابانى او صينى او يونانى او ايطالى، ولكنك لن تعثر على موظف واحد اصله من الهنود الحمر. وقال لى المهندس الهندي. ونحن نظير فوق ولاية كاليفورنيا انهم ينتجون كل عام افلاما عن الهنود الحمر يحشونها بالاكاذيب والمغالطات وينتجون مسلسلات تليفزيونية اكثر لتلويث سمعة الهنود الحمر وتلويث شرفهم والحط من كرامتهم، وفى المقابل يمنعون انتاج اى شىء ينصف الهنود الحمر او يشرح قضيتهم بعدالة، ورفضوا نشر كتب عن فنون الهنود ولغتهم، لقد سمعوا عقول افراد الشعب الامريكى وسمعوا عقول البشر جميعا،

## ٥ تجارة البنّي آدميه

قصة السود فى امريكا اسود من وجوههم، ومسيرتهم اصعب من دخول الجمل فى عين الابرة، وحكايتهم تحتاج الى موال ولا موال ادهم الشرقاوى، ومأساتهم فى حاجة الى شاعرة كالخنساء لتبكي عليهم! ومأساة السود فى امريكا هى مجرد فرع من المأساة الام، عندما اصبحت تجارة الرقيق كالنقط هذه الايام، مصدر ثروة ومصدر قوة، ولقد بدأت التجارة القذرة ذات يوم عندما خطفت سفينة برتغالية بعض اهالى ساحل الذهب (غانا) وعرضوهم للبيع فى البرتغال. واندهش الناس فى اوروبيا لهذا البنيان البشرى العجيب، وهذا الاحتمال الذى بلا حدود، وهذا الصبر على الشقاء بلا نهاية! وسرعان ما تدفقت المراكب على الشاطئ، الافريقى. تخطف وتبيع، وبدأت شركات العبيد تظهر هنا وهناك، شركات ولها علامات تجارية، ومؤسسات ولها مجالس ادارة، وانتظرت الاعلانات تدعو وترغب الناس فى البضاعة الجديدة. وانتشر السود فى المزارع وفى المخادع، وكما ربح التجار كسب النسوان البيض رجالا من نوع آخر!! واذا كانت اوروبيا قد غرقت حتى اذنيها فى تجارة العبيد، فقد بقيت امريكا

## ٦ مبادئ القتال والغرام

ولقد كان بين العبيد الاوائل الذين وصلوا الى الشاطئ الامريكى بعض المسلمين وكان من بينهم ايضا اعداد من الوثنيين، ولكن هؤلاء جميعا حرموا من ممارسة شعائرهم الدينية، واجبروا على اعتناق الدين المسيحى، وبالرغم من ذلك، لم يسمح لهؤلاء العبيد بتشبيد كنائسهم الا بعد مائتى عام من وصولهم، وقامت اول كنيسة زنجية عام ١٨١٦. ولم يتنفس العبيد الا خلال حرب الاستقلال، فقد حاربوا على الجبهتين، بعضهم مع الانجليز وبعضهم مع الامريكان!

وعندما نشبت حرب تحرير العبيد لم يكن الهدف تحرير العبيد فى الحقيقة، ولكن الهدف كان قيام «الولايات المتحدة» وبالرغم من انتصار الشمال على الجنوب، ومنح الحرية للزنوج، الا انهم لم يستمتعوا بحريتهم الا فى القرن العشرين، وبعد ان خاضوا الحربين العالميتين وتأكدت هذه الحرية بعد الحرب العالمية الاخيرة! وكانت الحرب العالمية الاولى هى الفرصة التى انتهزها الزنوج لاثبات حريتهم والكشف عن مواهبهم. وبسببها اعيد توزيع الزنوج على كافة الولايات المتحدة بعد ان كانوا يتكدسون فى الجنوب. والسبب انه عندما قامت

لفترة من الوقت بعيدة عنها، كان المهاجرون الجدد فى الارض الجديدة منهمكين فى ابادة جنس الهنود الحمر، فلما استقروا بدأوا البحث عن ايد عاملة رخيصة، وذات يوم ربيعى من العام ١٦١٩ رست سفينة هولندية فى ميناء «بليموث» وعرض قبطان الباخرة على المستعمرين فى «جيمستون» صفقة رابحة. اذ عرض عليهم شراء عشرين زنجيا كانوا معه على ظهر السفينة كعبيد مقابل كميات من المؤن وبعض زجاجات الخمر وكمية مماثلة من التبغ، وكانت هذه الصفقة هى اول عهد الولايات المتحدة بالعبيد! وسرعان ما نشطت تجارة العبيد بعد ذلك بعدة اعوام، وكان مركزها فى البداية ولاية نيوانجلاند، ولم تلبث ان انتشرت التجارة وراجت، واصبحت من اهم مصادر الثروة فى ولاية جورجيا! كانت تجارة العبيد قد احتلت مكانا مرموقا فى العالم، وتحول ميناء ليفربول الانجليزى الى بورصة للعبيد، ودخلت اشهر الشخصيات الانجليزية فى سوق العبيد، لدرجة ان معظم ثروات اللوردات الانجليز كانت نتاج هذه التجارة المخجلة!

وعندما قفز عدد الزنوج العبيد الى الملايين، وضعت القوانين لتنظيم الرق، واختلفت هذه القوانين من ولاية لآخرى، فهناك قانون يحرم على العبد اقتناء الطيور الليفة او تملك الارض والحيوانات وقانون آخر يحدد كميات الطعام التى يجب على السيد تقديمها للعبد، وقانون ثالث ينظم العقوبة التى ينبغى فرضها والحدود المسموح بها للقسوة عليه، ولكن القوانين اتفقت على ان قتل العبد مجرد مخالفة وشهادة العبد لا تقبل ضد السيد الابيض امام المحاكم!

الحرب توقف سير المهاجرين الى الارض الجديدة، وعاد مئات الالوف من امريكا الى بلادهم الاصلية لتأدية الخدمة العسكرية وعندما خلت المصانع من العمال، اتجه اصحاب الاعمال الى العامل الاسود وتم شحن العمال السود من الجنوب الى الشمال باعداد ضخمة، وسرعان ما تدفق هؤلاء العمال من مناجم الفحم ومزارع القطن، ومن المطاعم والمطابخ، الى مدن عظيمة مثل سنسناتى وديترويت وشيكاغو ونيويورك. وبدأ تأسيس حى هارلم اعظم احياء الزنوج فى امريكا اكثر حى يتحدث عنه العالم!! وفى نيويورك بالذات حصل الزنوج على ممتلكات لأول مرة تقدر ببلايين الدولارات، وهبت احياء البيض الجاورة تقاوم ظهور السود، وظهرت المشاكل العمالية، وزادت الجرائم وتضاعفت اعمال الرذيلة وبسبب الحرب ايضا بلغ عدد الجنود السود الذين ارسلوا فيما وراء المحيط الى فرنسا ٢٠ الف جندي ملون، ونصحت فرنسا بالآ تعامل السود معاملة البيض لأن هذا العمل ليس من الحكمة، كما انه ليس من مصلحة احد! ولكن بنات فرنسا المتحررات، الخاليات من عقدة اللون لم يعبان كثيرا بتعليمات قيادة الحلفاء. عرف الزنوج لأول مرة طعم اللحم الابيض... واستطعموه!! وعرف الزنجى كيف يكون العبد سيدا فى ميدان القتال وسيدا فى ميدان الغرام ايضا! وحدثت عدة حوادث فى جبهات القتال، فقد اطلق الجنود الزنوج النار على بعض الضباط البيض لاصرار هؤلاء على معاملة الجنود السود معاملة الحيوانات، بينما كان رصاص الاعداء لم يفرق بين الابيض والاسود كما ان الشجاعة لم تكن دائما فى صف الجنود البيض! وبالرغم من كل شىء فان فرقا

كاملة من الزنوج بالاضافة الى بعض من الضباط والجنود السود ادرجت اسماؤهم لمنحهم صليب الحرب، واخرون ادرجت اسماؤهم لمنحهم وسام الشرف، وصليب الخدمة الممتازة! ولكن هؤلاء الابطال السود ندموا بشدة عندما عادوا الى ارض الوطن، فقد استقبلوا من الجهات الرسمية بلا مبالاة وبدون ترحيب، وحاولوا من جديد فرض القيود عليهم ضاربين بعرض الحائط ما افرزته الحرب العالمية من نتائج جديدة!

ولكن غلاة المتعصبين من البيض كانوا يعلمون ان الحرب العالمية الاولى قد افرزت نوعا جديدا من السود، فألفوا فى الخفاء جمعية لاضطهاد السود، وهى جمعية «كوكلوكس كلان» وقد انشئت فى عام ١٩١٥، اى فى نفس الوقت الذى كان فيه السود يعرضون صدورهم لطلقات النار فى ميدان القتال! وشرعت الجمعية فى العمل على الفور، وارتكبت افظع انواع الجرائم ضد السود، وكان الزنوج يطاردون كالحوانات ويطلق عليهم الرصاص ويشنقون ويحرقون بدون ادنى شفقة! ووقفت المحاكم فى صف المجرمين البيض ضد الزنوج! ووقف محام «ابيض» امام احدى المحاكم فى شيكاغو يترافع عن المتهمين بقتل عشرات من الرجال السود يقول «انهم سلالة اقل نشأة ولا يحق لهم التمتع بالاحترام الذى يجب ان يتمتع به الرجل الابيض»! وفى هذه السنوات الكالحة السوداء قام فى امريكا اول تنظيم الزنوج يدعو الى العودة الى افريقيا الوطن الام. وانتشرت بين السود الاغانى التى تبكى افريقيا وتتغنى بايام الغابة العذراء، وظهر الى الوجود اول تنظيم للمسلمين السود من هؤلاء الذين كانوا ينتمون

يعيشون في المدن، أكثر من عدد المقيمين في الريف، وأصبح هناك مليون زنجي على الأقل... أعضاء في النقابات العمالية! كما كان هناك ألوف من الخريجين الذين منحوا درجات صفوف القوات المسلحة، ومنح الزنجي حق الانتخابات والترشيح أيضا لعضوية المجالس النيابية.

ولكن هل صحيح انتهت التفرقة العنصرية داخل أمريكا اليوم؟ صحيح ان الرجل الزنجي صار مواطنا امريكيا من الدرجة الاولى؟ الجواب بنعم بالنسبة للقوانين المكتوبة والسلوك الرسمي. ولكن الجواب بلا بالنسبة لما يدور بين الكواليس وفي الخفاء ومن وراء ظهر القانون الامريكى! وقد يتقدم اليوم مائة زنجي لوظيفة ورجل ابيض واحد، ولكن الاختيار سيقع على الرجل الابيض، وسيقال لك انه اثبت في الامتحان الشفوي انه الوحيد الصالح للوظيفة! والغالبية العظمى من نزلاء السجون من المواطنين السود، ليس لانهم مجرمون بطبعهم ولكن لان جميع الابواب سدت في وجوههم، فلم يعد هناك الا باب الجريمة! وجميع الاعمال المنحطة يقوم بها السود الآن، والصياغ والمتشردون والمتسولون والغالبية العظمى من البغايا والعاشرات كلهم من الزنوج، والعالم السفلى كله يحكمه سود، وتجارة المخدرات وحبوب الهلوسة يسيطر عليها السود، وجميع الالعاب الرياضية للمحترفين يتحكم فيها السود، والشارع الامريكى هو شارع الرجل الاسود، ولذلك يخاف الرجل الابيض من الشارع ويحذر الآخرين من عواقب السير فيه، ولكن تجربة العبد لله اثبتت انها خرافة، وان الخوف هو في داخل الرجل الابيض، وان السود بشر كالأخرين

في الاصل. الى دين الاسلام وسرعان ما انضمت اليهم جماعات اخرى كانوا قد اعتنقوا دين المسيح، باعتبار ان مضطهديهم كانوا مسيحيين وينتمون الى نفس الكنيسة التي ينتمى اليها السود! وظهر الاب الاسود يصرخ بأعلى الصوت ضد المجرمين البيض، وصدرت اشعار جيمس ولدن، وألف مستر جونسون «مانهاتن السوداء» وقام الن لوك بنشر ديوانه «الزنجي الجديد» وفي المسرح اضطلع شارلز جلين بدور البطولة في مسرحية «الامبراطور جونز» وقام بول روبنسون بالدور الاول في مسرحية «جميع ملائكة الله لها اجنحة»!

وعندما هبت عواصف الازمة الاقتصادية في بداية الثلاثينيات، تشرد عدة ملايين من الزنوج، وبينما كانت الحكومة تغدق على العاطلين البيض تركت العاطلين السود في اسوأ حال!

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وتغير كل شيء، ولاول مرة صار هناك قباطنة من السود في سلاح البحرية، وتطوعت اربعة آلاف سيدة زنجية في الجيش النسائي، وكذلك تطوعت الألوف من الفتيات في فرق الترفية عن الجنود! واشترك بوجه عام أكثر من نصف مليون زنجي في الخدمة العسكرية فيما وراء البحار!

وفي خلال سنوات الحرب العالمية الاخيرة انضم أكثر من مليون زنجي الى الوظائف المدنية، وفي خلال اربع سنوات حقق الزنوج مكاسب اضعاف اضعاف ما حققوه خلال المائة عام الماضية! وما ان حل منتصف القرن العشرين حتى كان الزنوج الامريكويون قد حققوا مكاسب عديدة ولاول مرة في تاريخ الزنوج، كان عدد الزنوج الذين

بشرط ألا تبدو متعجرفا ولا تنظر اليهم من طرف العين، ولا تصافحهم باطراف الاصابع. انا زرت حى هارلم مثلا، وجلست مع السود فى حاناتهم، وعندما عرفوا اننى افريقي من مصر انهالت الدعوات على العبد لله، وسلام مربع للافريقي الغلبان، ودعيت الى العشاء مع اسرة زنجية فى حى السود فى مدينة «سنسناتى» فى اوهايو، ودعنتى بنت سوداء الى العشاء فى الحى الصينى فى نيويورك، وسهرت الليل معها اجوب شوارع نيويورك ولم يتعرض لنا انسان بسوء!

لقد نهض الرجل الاسود اخيرا لينتقم من سنوات الذل والجوع، واصبح الرجل الابيض اسير خوفه، ولذلك يهرع الى منزله بعد العاشرة ويغلق على نفسه الباب خوفا من شبح السود. ترافق البنت البيضاء كما القشطة رجلا اسود وتسير معه فى الشارع بعد منتصف الليل، بينما الرجال البيض لا يستطيعون الاستمتاع بالبنت السمراء الا فى الخفاء! وان جهروا بالعلاقة تعرضوا لضرب المطاوى والموت بالرصاص! لقد شهدت امريكا اليوم نوعا من التمييز العنصرى، ولكنه يختلف عن التمييز العنصرى الذى كان معروفا ايام زمان، فالرجل الاسود اليوم يستطيع التجول فى المدينة دون خوف، والدخول فى اى مكان دون عوائق، بينما الرجل الابيض وضع حول نفسه سورا لا يتعداه، وهو يخاف العراك كما يخاف المنافسة فى المجالات التى يسيطر عليها السود.

واذا سار الرجل الابيض فى الطريق العام بعد العاشرة مساء راح يتلفت خلفه، بينما الاسود ينام على الرصيف ويحلم احلام الملوك! ولكن اعظم حركة الآن بين السود هى حركة السود المسلمين! وهم

اكبر خطر على اللوبى اليهودى فى الولايات، واكبر بعبع يخيف اليهود. وفى امكان هؤلاء ان يكونوا سندا للعرب، وان يكونوا طليعة للفلسطينيين داخل الولايات، وهم لا يحتاجون الا للدعم المادى، ومهما بلغ حجم الاموال التى ستنفق عليهم فالمردود سيكون بالقطع اكبر من ذلك بكثير، ذلك خير على الاقل من انفاق الاموال على موائد القمار، وفى افراح ولا افراح الامير خماورية كما روت الصحف عن زفاف شيخ عربى ثرى تكلف عشرة ملايين جنيه وكانت فضيحة للعرب فى لندن!! وهؤلاء المسلمون السود يشدد عودهم الآن فى نيويورك نفسها، معقل الصهيونية واليهود، ويشاهدون بكثرة على نواصى الشوارع ويجمعون التبرعات ويبيعون العطور من اجل دعم حركتهم ودفعها الى الامام، وكان هناك ثلاثة ابطال عالميين فى الملاكمة من المسلمين، امامهم هو محمد على والثانى هو سعد محمد، والثالث اسمه مصطفى ولا اعرف اسمه الاخير، وهناك مراكز اسلامية للسود المسلمين فى فيلاديلفيا وبنسلفانيا وجورجيا وشيكاغو وديترويت كما ان هناك مساجد انشئت فى عدة ولايات خاصة بالمسلمين السود. العيب الوحيد فى الحركة ان هناك اكثر من طائفة، وهناك تذير بأن تنشب بين الطوائف حرب ولا حرب البسوس. وعلى الازهر ان يوفد رجاله الى هناك لينسق بين الحركات الاسلامية، فليس اكسب لقضية العرب من انتظام كل هذه الطوائف فى طابور واحد، ولو حدث وقام جيش المسلمين السود الواحد فى الولايات المتحدة، فسيكون ذلك اليوم هو بداية النهاية بالنسبة للنفوذ اليهودى فى بلاد القمر الصناعى والصواريخ!

ان قصة السود فى امريكا اسود من وجوههم، ومسيرتهم اصعب من دخول الجمل فى خرم الابرة، وحكايتهم تحتاج الى موال ولا موال ادهم الشرقاوى، ومأساتهم فى حاجة الى شاعرة كالخنساء لقبكى عليهم! ولكنهم بالصبر والصمود واحتمال المعاناة استطاعوا ان يقهروا الصعب، وان يقلبوا الاية، وان يصبحوا ملوك الشارع الامريكى، وان ينعموا بالليل فى بلاد العم سام، بينما يختفى البيض وراء المتاريس والابواب! ويكفى ان ثمانين بالمائة من ابطال امريكا فى الرياضة من السود، ويكفى ان عشرين فى المائة من ابطال الجيش الامريكى من الزوج، واخيرا.. يكفى السود ان سبعين فى المائة من الفتيات البيض يلحن بفارس اسود! وتسعين فى المائة من الشبان السود يفوزون بقلوب بيضاء، بينما واحد فقط فى المائة من الشباب البيض يفوزون بقلب اسود!! انها امريكا التى بدأت حمراء ثم بيضاء وانتهت سوداء من غير سوء، ويوما ما فى الخمسين عاما القادمة سيصبح رئيس الولايات المتحدة رجلا اسود، ويستطيع العالم حينئذ ان يتنفس الصعداء، وتكون نبوءة الشارع الزنجى قد تحققت «انه ملاك اسود طويل القامة يسير مختالا فى الشارع الذهبى، بينما الشارع الابيض ينام فى الظلام»!!

## عبادة الدولار!



هل تذكرون الأب جونز، الاب المجنون الذى استدرج اتباعه الى جزيرة نائية فى الكاريبي واقنعهم بأن تناول السم والموت جماعة هو اقصر طريق الى الجنة، كان الرجل يؤمن بدين غريب، فالحياة قصيرة، والآخرة ممتدة، وعلى الفرد ان يؤمن بأن الآخرة خير من الدنيا، وليس امام الانسان ليبرهن على انه يفضل الآخرة على الدنيا، الا بالذهاب الى الآخرة طواعية واختيارا والانتحار هو خير دليل وهو افضل برهان، وطوبى للذين ينتحرون، لان ملكوت الله لا يتسع الا لمن يموتون بأيديهم!

ومذهب الأب جونز ليس هو المذهب الوحيد الغريب فى امريكا، هناك مائة دين وalf مذهب وعشرون الف طريقة، وهناك جماعات تعبد الشمس، واخرى تسجد للقمر، وثالثة تقدر الهرم، وجماعة الهرم هؤلاء يؤمنون بأن هرم خوفو هو مركز الكون، وانك لو زحزحت الهرم من مكانه لاختل نظام الارض، وربما انطلق الكوكب الذى نعيش عليه فى الفضاء ليصطدم بالشمس، وربما ضل طريقه وراح يسبح الى يوم القيامة فى فضاء بلا نهاية!



ولذلك فهم يذهبون كل عام الى الهرم الاكبر ليؤدوا طقوسهم هناك، يسألون رب الهرم ان يبقى الهرم مكانه، وان يحافظ عليه في نفس المكان وبنفس المواصفات، واحيانا يستبد الوجد بأحدهم، فيصعد الى القمة ويلقى بنفسه سعيدا ليحظى بالميتة المثالية، ويفوز بالنهاية السعيدة، ويموت وقد تناثرت اشلاؤه على احجار الهرم! جنون.. ربما، بلاهة... يجوز، نكاه... ممكن، ولكنها الحقيقة، ولذلك فهي مؤلمة! في اول لحظة للعبد لله في الارض الامريكية، ومن مطار دلاس في واشنطن الى قلب العاصمة، رأيت محطة بنزين في كنيسة، انكرت ما رأيت، وسألت محدثي هل هذا ممكن؟ اجابني بأن في مقدور اى مخلوق ان يستأجر كنيسة قديمة، وفي استطاعته ان يستخدمها في اى شىء! يفتح فيها محلا للبقالة، يقيم ملهى ليليا على انقاضها، يحولها الى مرقص، وهناك مئات من الكنائس في امريكا لقيت هذا المصير، ولكن ما حدث لهذه الكنيسة بالذات - كما قال مرافقى - هو الوضع الصحيح والسليم، لأن البترول هو الاله الجديد في امريكا!

وفي كلورادو جماعة دينية صغيرة، عدد اعضائها هم عدد أعضاء الاتباع الذين احاطوا بالسيد المسيح، وكل فرد في الجماعة يتسمى باسم واحد من الحواريين، فهناك متى وبولس ويوحنا، وبطرس وبرنابا ويهوذا ايضا، وهم يختارون المسيح من بينهم مرة كل شهر عن طريق الاقتراع، وهم يجتمعون ويؤدون الشعائر والطقوس في كهف يمتد غائرا في بطن احد الجبال المحيطة بمدينة دنفر! وهم اثناء اجتماعاتهم يرتدون الثياب ويأكلون نفس الطعام ويستخدمون نفس الادوات التى كان يستخدمها السيد المسيح واتباعه، وهم يقولون ان

السيد المسيح كان يؤمن بان القيامة ستقوم بعد ستة اشهر، وكان قوله صحيحا، ولكن الخطأ الوحيد الذى ارتكبه المفسرون، هو انهم توقعوا القيامة بحسب اهل الارض، ولكن المسيح كان يحسب بحسب السماء، ويوم عند الله بألف سنة عند اهل الارض، ولذلك فالقيامة ستقوم كما تنبأ المسيح بعد موته بمائة وثمانين الف عام! ولاحظ الصلة بين ما يعتقدون وما جاء في القرآن الكريم: «ويوم عند ربك بألف سنة مما تعدون»! هل قرأوا القرآن؟ هل تأثروا بما جاء فيه؟ لا احد يعرف سر هذه الجماعة، ولا احد يستطيع ان يفتى فى امرهم لانهم بلا كتب منشورة، ولا اقوال ماثورة، كما انهم اشد صمتا من الجبل الذى يدخلون فيه!

وفى ولاية اريزونا جماعة دينية يتزايد عددها يوما بعد يوم، وللجماعة وسيط هو راعى الجماء وشيخها، واتباع مذهبهم يذهبون الى الصحراء ويقيمون فيها شهورا، ويؤدون صلاة على الرمل يسألون الله ان ينزل الامطار، وهو يأكلون الاعشاب ويشربون مياه الآبار، وهم يحرمون أكل الاطعمة المحفوظة، واللحوم الثلجة، وهم يصلون والنار مشتعلة، ويتعمدون فى مياه النهر، وتدخين الغليون حلال ولكن تدخين السجائر حرام! وهم يعتقدون فى حياة اخرى بعد الموت، ويؤمنون بان الفردوس فى السماء حيث الاشجار والمياه والصيد الوفير!

وهذه الديانة مأخوذة بتصريف من ديانات الهنود الحمر، ولعل هذا هو السبب الذى من اجله يبدو «وسيط» الجماعة يرتدى خلال الاجتماعات الدينية تاجا من الريش!

وغمغمة وكأنها صادرة من عوالم مجهولة، وتدخلت الشرطة حينئذ وأجرت تحقيقا بالفعل لتكتشف حقيقة اغرب من الخيال، فهذه الحفلات ليست حفلات زار ولا هي حفلات للترفيه، ولكنها حفلات دينية لجماعة تعبد بطن المرأة، باعتبار انه المصنع الوحيد الذى يخلق الحياة، ففيه تتكون الخلية الاولى للطفل، وفيه يشب ويتعرع، وخلال تسعة أشهر يصبح كائنا حيا يسمع ويرى ويصرخ ايضا، ولذلك - فى شريعة الجماعة - ينبغى تقديسها والتوجه لها وعبادتها ايضا، وقدمت الجماعة للمحاكمة لا لأنها تعتنق هذه الملة الغريبة، ولكن لأنها تسببت فى ازعاج الجيران وهو الامر الذى لا يغتفر!!

وما اكثر العبادات والديانات فى امريكا، والسبب ان الحرية الشخصية مكفولة، ومن حق كل فرد فى المجتمع ان يختار حكومته عند الاقتراع، وايضا من حقه ان يختار آله، بشرط الا يفرض عقيدته على احد، او يجبر احدا على ان يعبد آله! وفى الآونة الاخيرة انتشرت البوذية والهندوكية بين الامريكيين، وظهرت جمعيات تطالب الحكومة بالسماح لها باقامة معابد لعبادة الشمس، واخرى لعبادة الثعبان، ولكن اغربها جميعا هي الجمعية التى لجأت الى القضاء تطلب السماح لها باقامة معبد لدين الآلهة امون فرعون مصر القديم، باعتبارها اول ديانة دعت الى توحيد الله، ولا تزال القضية مرفوعة امام محكمة مدينة سكرامنتو عاصمة ولاية كاليفورنيا، وقال لى واحد من الذين اطلعوا على ملف القضية وعرف شيئا من اسرار الجماعة، انهم يقيمون فى البرارى بعيدا على هيئة هرم مدرج يشبه هرم الملك زوسر فى سقارة، وهناك حقيقة ثابتة وهي ان المكسيك صنعت مثل هذه الاهرامات وبكثرة فى فترة لاحقة على فترة حكم الملك زوسر الفرعون!

ومنذ عام على وجه التقريب لجأت احدى الاسر فى ولاية ميتشجان الى الشرطة تطلب التدخل لدى الجيران لوقف الازعاج المستمر الذى يسببه هؤلاء الجيران، ويمنعون النوم عن اعين الناس فى الحى كله، وذهبت الشرطة وعاينت الامور على الطبيعة، واكتشفت ان هؤلاء الجيران المزعجين دأبوا خلال الاشهر السابقة للشكوى على اقامة حفلات تشبه حفلات الزار فى بلادنا، حيث تدق الطبول والدفوف، وينطلق بخور له رائحة نفاثة، وتتصاعد اصوات مهمة

## المسلمون السود



ولكن أعظم الحركات الدينية التي تخالف الجو العام في أمريكا، هي حركة المسلمين السود، وهي سموها كذلك لأن الذين دخلوا في دين الله أفواجا كانوا في البداية من الزنوج، ولكن الحركة تطورت بعد ذلك فأصبح هناك ألوف من البيض يعتنقون الإسلام، وهناك عدد آخر من الهنود الحمر وحوالي عشرة أشخاص ينتمون إلى جنس الاسكيمو، والإسلام هناك يتقدم ببطء ولكن باصرار، وهو يكسب كل يوم اصدقاء جددًا ولم يفقد واحداً من أتباعه قط، وهناك مراكز إسلامية نشأت بالجهود الذاتية في بنسلفانيا وأوهايو وكاليفورنيا وعدد آخر من الولايات هنا وهناك ولو مجموعة من الدعاة المسلمين العرب تفرغوا لهذه المهمة لدفعوا هذه الحركة مسافات طويلة إلى الامام! لان الانقسامات داخل الحركة كثيرة، والخلافات شديدة، وينبغي التدخل لحصرها الآن قبل ان يفوت الأوان! والسبب في هذه الانقسامات ان الذين دعوا إلى الإسلام في بداية الامر كانوا من بلاد آسيا، من بينهم من يعتنق القاديانية، ومنهم من ينتمي إلى جماعة البهرة، وفيهم من يعتنق المذهب الاسماعيلي، وهذه الجماعات في

أمريكا صغيرة ولا تشكل خطراً في الوقت الحاضر، ولكنها قد تشكل خطراً في قادم الأعوام! ولكن الذي يطمئن أن الإسلام الحقيقي الصحيح هو الموجة الغالبة داخل الحركة الإسلامية في أمريكا، ولكن الجهود المبذولة حتى الآن في هذا المجال جهود فردية، بمعنى أن هناك تبرعات من رجال أعمال مسلمين، وهناك مساعدات من دول عربية وأخرى إسلامية ولكني أقترح الآن إنشاء هيئة إسلامية عربية عليا تشترك فيها كل الدول العربية، تكون مهمتها التبشير بالإسلام ونشره والدعوة إليه في جميع أنحاء العالم مع التركيز على أمريكا في المقام الأول وأفريقيا بعد ذلك، ولو قامت هيئة مثل هذه مدعومة بالمال والرجال والدعاة المخلصين ستجد أن الأرض ممهدة، وهي فرصة ذهبية قد لا تعوض بعد ذلك، خصوصاً بعد أن طحنت المذاهب المادية - سواء في الشرق أو في الغرب - الإنسان العادي وتركته وحيداً وضائعاً ومنسحقاً في بحار من الشك والحيرة والضلال! ولذلك أخذ هؤلاء الناس يلجأون إلى أي شيء يحمي نفوسهم ولو كان كذباً، ويهرعون إلى أي بريق ولو كان سراباً، والسعيد الحظ منهم من اهتدى إلى الطريق الصحيح... ساقنتني الصدفة إلى رجل أمريكي أبيض في الخمسين من عمره، كان يقرأ في كتيب صغير يروي أحاديث النبي صلوات الله عليه، والكتاب مطبوع طبعة أنيقة ومترجم بامانة، ومهدى من دولة الإمارات إلى المسلمين الذين لا يقرأون العربية، كان الرجل «ماك ستيفن» مبهوراً بما قرأه من الأحاديث، هذا كلام رجل نطق به منذ أربعة عشر قرناً، ما أروعه من فكر وما أرجحه من عقل، هكذا قال «ماك ستيفن» الأمريكي الذي ينحدر من أصول

اسكتلندية - استمع إلى في انبهار شديد وأنا اعلق على حديثه «العقل كان راجحاً والفكر كان رائعاً، ولكن لا تنس الإلهام، فقد كان الرجل «رسول الله» متم «ماك» أعلم ذلك، ولكن الرسول كان رجلاً قبل ذلك! وراح العم «ماك» عندما عرف أنني عربي ومن مصر يسألني أسئلة الملهوف في أمور الدين، الكارثة أنهم يظنون - هؤلاء المسلمون الأجانب - أن أي عربي هو فقيه في أمور الدين، وأقول كارثة لأن هذا الظن يفتح باباً أمام النصابين وينهالون على الناس فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان كان العم «ماك» تواقاً إلى معرفة كل شيء عن الإسلام، لأنه وهو صغير في المدارس قرأ فصلاً عن الإسلام في كتاب مدرسي وصف الإسلام بأنه ثورة التجار لفتح أسواق جديدة أمام التجارة!

وقال كتاب المدرسة الأمريكية أن «محمد النبي» كان تاجراً، وكان طليعة طبقته لتحقيق هذا الحلم! قلت للعم «ماك» الطيب: يدعشني أن الأمريكيان يكرهون كل شيء في الجانب الشيوعي ولكنهم في الإسلام يقتنعون ويروجون نفس التحليل الشيوعي!

قال: هل هذا تحليل شيوعي للإسلام؟ لم أكن أدرك هذا من قبل! لقد اختلف الذين يؤمنون بالمسيح والذين يؤمنون بالشيطان، ودخلوا معركة ولا معارك اليسوس، ولكنهم - وهنا العجب - اتفقوا ضد الإسلام وعليه سألني في براعة: ليه؟ قلت: هذه مسألة تاريخية وقديمة، عمرها من عمر الإسلام، وعندما ظهرت حركة الإسلام الوليدة تحالفت عليها امبراطوريتان كبيرتان، واحدة كانت تعتنق المجوسية، والأخرى كانت ترفع الصليب، وهم الذين أشعلوا الحرب في البداية ولم تكن

دولة الاسلام قد قامت بعد، وكانت معركة معان هي الخطوة الاولى، ولولا ارادة الله لتمكنوا من الاسلام ودفنوه وهو بعد في المهديا قلت للاخ «ماك» الطيب وقد فتح فمه دهشة، وعندما انتشر الاسلام هبت اوربا كلها ضده، وتحالفت كلها عليه، ولا يزال الغرب المسيحي يحتفل بيوم معركة «شارل» دي تور» كواحد من اعظم ايام التاريخ المسيحي ان لم يكن اعظمها على الاطلاق، لانه في هذا اليوم انكسر القائد المسلم عبدالرحمن الغافقي، وانحسر المد الاسلامي، وحاصروه في الاندلس وحاصروه هناك حتى تمكنوا في النهاية من طرده!

وفي العصور الوسيطة جاءت جيوش الغرب المسيحي لتهاجم الاسلام في عقر داره، واحتلوا الساحل العربي كله من اللاذقية الى دمياط، وتوغلوا في البلاد حتى مشارف القاهرة، وارتكبوا من الجرائم والمذابح ما يخجل منه الضمير! ولكن اغرب شيء حدث تلك الايام، ان الغربي المسيحي الذي يؤمن بالله والمسيح واليوم الآخر، تعاون بكل قناعة مع التتار الذين كانوا يعبدون الاصنام، وتعاونوا معهم على الاسلام، مع انه دين سماوي يؤمن بالمسيحية ويحترم السيد المسيح كنبى من انبياء الله! وصمت الاخ «ماك» صمما طويلا وعميقا، وفي النهاية قال وكأنه يوصيني: ما احوجنا الى معرفة الكثير عن الاسلام!

وها هو الطريق مفتوح، والفرصة متاحة والرغبة موجودة، والامكانات وفيرة، فقط علينا ان نبدأ بخطة مدروسة، وبرنامج واضح ويطاقم من الدعاة المخلصين، وسنكسب في النهاية، لان الاسلام هو دين العصر وكل عصر، شيء آخر احب ان الفت اليه الانظار فقد

ننفق ملايين الجنيهات في سبيل الدعوة وقد نرسل الوف الدعاة المخلصين وقد نكسب الوف المؤمنين للاسلام، ولكن تصرف مسلم عربي واحد قد يقضى على هذه الجهود، ويصيبنا ويصيب الاسلام في الصميم! مثلاً، في لوس انجلوس كنت ضمن مجموعة من السائحين في جولة حول هوليوود، وكان ضمن الجولة زيارة لحي الفنانين «بيفر لى هيلز» حيث تسكن جميلات الكواكب ومشاهير النجوم، كان السائق يشرح للسياح خلال مكبر صوت، واشهد انه كان متحدثاً جيداً وخفيف الدم ووقحا في بعض الأحيان، قبل ان ندخل حي الفنانين سأل عبر الميكروفون: «هل يوجد بينكم عرب؟» لم يرفع احد يده وأمسكت أنا الآخر عن رفع يدي فقد ادركت ان في الامر سرا ما! عاد يسأل مرة اخرى، هل بينكم احد من المسلمين؟ لم يرفع احد يده وكذلك فعلت انا الآخر، وهنا قال: «عندئذ سأريكم شيئاً تدهشون له غاية الدهشة وتعجبون له غاية الاعجاب» وانحرف بالسيارة الى شارع عام، وتوقف عند قصر منيف تحيط به حديقة مترامية، ويحيط بالجميع سور حديدي غاية في الرشاقة والاناقة والاحكام، ولكن من ينظر الى القصر من اول وهلة كان يدرك ان القصر أصابه التلف الشديد، وزحف عليه الخراب، وثمة آثار نيران تركت بصماتها على جدران القصر وعلى اشجار الحديقة وعلى السور وامتد أثرها الى اشجار الطريق وقال السائق وهو يشير نحو القصر هذا قصر الشيخ (.....) ولا داعي لذكر الاسم لاننا لا نقصد التشهير، استطرده السائق قائلاً: انه عربي (توقف عن الكلام وضحك) اشترى هذا القصر بمليونين من الدولارات، واضاف اليه

ديكورات بسبعة ملايين، وحدث في هذا المكان ضجة ولا ضجة الهنود الحمر لحظة بدء الهجوم وتظاهر سكان الحي ضد الرجل، وطافوا في مسيرة بالحي لم تتوقف الا امام مبنى البلدية، وطلبوا رئيس البلدية بوقف الضجة او طرد الساكن من الحي، ولكن الساكن لم يتوقف، وفي كل ليلة كان لديه حفلة في القصر، واقصات يحضرن بالطائرات من الشرق، واطعمة تحضرها الطائرات من مطعم مكسيم، وضيوف تنقلهم الطائرات من جميع انحاء الارض! وأخيرا لم يجد الجيران بدا من التصرف، فأشعلوا النار في القصر، وأجبروا الاسلام على الرحيل!! انتهت.

ستقولون انه سائق وقح، وانه ربما يهودى يكيد العرب والاسلام، وقد يكون هذا صحيحا كله ولكن الذى يستحق الحرق مثلا هو العربى المسلم الذى اعطى الفرصة لهذا اليهودى الجبان!

المهم، ما أسهل الوصول الى قلوب الناس بالاسلام، خصوصا فى هذا الزمان الذى حطمت المادة فيه كل شىء فى الانسان الأمريكى، وسيكون الاسلام هو الراحة، التى يلجأ اليها الرجل المكود-لينعم بالسكينة والسلام، وكما قال لى كاتب أمريكى ساخر.

## ٩ ونصفها.. للأسف!

أمريكا هي بلد الرخاء والوفرة والشبع والامتلاء، وهي ارخص بلد على ظهر الارض لانها لا تستورد شيئا من خارج الحدود الا فى أضيق الحدود، وأهم وارداتها النفط مع انها منتجة للنفط، ولكن الذكاء الأمريكى جعل الأمريكان يحتفظون بنفطهم بينما هم يستهلكون نفط الآخرين، وعملية استيراد النفط من الآخرين عملية مربحة، لأنهم يبيعون مقابل النفط سيارات أمريكية وثلاجات أمريكية واسلحة أمريكية وتكنولوجيا أمريكية ويابخت من نفع.. واستنفع! ولكن تبقى فى أمريكا سلعة واحدة عزيزة وغالية الثمن، هذه السلعة هي المرأة الأمريكية! وأصل الحكاية انه عندما وفد المهاجرون الأوائل على الشاطئ الأمريكى كانوا - ولا مؤاخذه - من صنف القتل والمجرمين! وكان يشترط فيمن يريد الهجرة الى أمريكا ان يكون شابا وقويا وقاسيا بالدرجة الكافية وقاتلا محترفا لأن الرحلة وقتئذ لم تكن بهدف السياحة، ولكنها كانت بهدف السفاحة.. وهو المصدر الذى اشتق منه فعل سفح يسفح فهو سفاح!! لم تكن الرحلة سهلة ولا معبدة ولا ممهدة، وكانت الاخطار تكمن فى كل شبر، والبلاوى تترصد

المهاجرين في كل ركن، وكان الشعار المرفوع قاتل أو مقتول! ولذلك خلت المراكب التي حملت هؤلاء المقامرين من صنف النساء، وهكذا وجد المهاجرون انفسهم بعد ان وضعوا اقدامهم على الارض الجديدة في نفس المجتمع الذي ألفوه.. مجتمع السجن! سجن ولكنه هذه المرة مفتوح، ولهم مطلق الحرية في السجن الجديد بارتكاب جريمة القتل دون عقاب، بل ربما نالهم الثواب والتقدير، ولكن لم يكن معهم نساء واطفال، ولذلك ايضا حرص هؤلاء المهاجرون في المعارك التي نشبت بينهم وبين قبائل الهنود الحمر على اختطاف النساء احياء، وكانوا يغتصبوهن بوحشية ويعبثون باجسادهن بنذالة، ثم يطلقون النار عليهن في النهاية، ويلقون بجثثهن في العراء! وعندما احكم القتلة قبضتهم على اجزاء شاسعة من اراضي الهنود وشعروا بشيء من الاستقرار، عندئذ جاءت المراكب وعليها بعض النسوة، ولكنهن كن من نوع واحد وتم جلبهن لغرض واحد، هو الترفيه عن «الابطال» الذين فتحوا العالم الجديد! واقامت هنا وهناك صالونات وفنادق وبارات، كانت تقدم الغرفة مع البنت، والمشروب مع النديمة، وكان على من يريد ان يستأنس ان يدفع كثيرا، فقد كان الطلب على ودنه والعرض قليلا! ومن اجل الصراع على البنات، ربما مات من البيض اضعاف ما ماتوا في معارك مع الهنود! فكما كان اسهل من سحب المسدس واطلاق النار اذا وجد الفارس المتعطش ان هذا هو الطريق للفوز بما يريد! وحتى خلال ايام البحث عن الذهب، كان البعض يذهب ويغيب في باطن الارض اياما واسابيع، ينقب بين الحجارة والتراب في عروق

منزله في نيو أورليانز ولزم الفراش صريع الحمى عدة اسابيع،  
وعندما نهض من فراشه وذهب الى البنك ليسحب بعض النقود،  
اكتشف ان رصيده على المكشوف، وسقط الرجل امام موظف البنك  
مصابا بالذبحه ومات بعد ساعات!!

## الأعمال بالأرداف



وفي مدينة بافالو وهي تابعة لولاية نيويورك، راهنت زوجة في لعبة  
سخيفة تشبه لعبة ملك ولا كتابة، حيث يلقي المتراهنون بقطعة نقود  
في الهواء ثم يراهن كل واحد على وجه منها، اقول راهنت الزوجة  
على قطيع جاموس كان يملكه زوجها وكانت هي شريكته بمقتضى  
الحق الإلهي، وكان معها تفويض من الزوج الشريك يخول لها حق  
التصرف والبيع وخلافه، ولقد جاءت قطعة العملة على الوجه غير  
المطلوب، وطار القطيع في لحظة مع قطعة النقود الطائرة في الهواء،  
ولم تتمالك الزوجة السفيهة نفسها فانتحرت، ولحق بها زوجها بعد  
ذلك الى الآخرة! ولكن هذه المرأة الامريكية التي تتمتع بكل هذا  
الهيلمان والنفوذ لم تقنع بما هي فيه، ظلت تحارب لكي توسع من  
دائرة نفوذها، وظلت تكسب دائما، حتى اصبحت ندا للرجل،  
واصبحت العصمة في يدها، ودخلت جنديا في الجيش، وقائدة في  
الاسطول، وسائقة في السكة الحديد، وعسكري شرطة وهي موجودة  
في كل وقت وفي كل مكان ورغم كل شيء! ونهار امه ازرق ويوم  
الذين انجبوه اسود من قرن الخروب اذا اقدم امريكي على تطبيق



زوجته، كل ما يملكه يذهب نصفه اليها حتى البيت الذي يسكن فيه، ولكن اذا طلبت هي الطلاق بدون اسباب الا لأنها لا تطيقه او لم تعد تستسيغه أو لأن دمه اصبح ثقيلًا على قلبها، ففي ستين الف سلامة، ولأن التوازن غير موجود بين الرجل والمرأة، ارتفعت نسبة الطلاق الآن الى ستين في المائة من مجموع الزيجات، أى إنك ستصادف فى أمريكا بين كل عشرة نساء، ستا منهن مطلقات! التقيت فى كولورادو بامرأة مطلقّة تعمل جرسونة فى بوفيه الفندق، وكانت سميّة ولا بقرة فريزيان، وحمراء اللون ولا بطيخة مصرى، ومقبلة على الحياة ولا فتاة فى العشرين! واكتشفت انها عريقة فى التطليق، وأنها طلقت مرتين فى المرة الاولى قالت لانها اكتشفت انها كانت صغيرة وكانت ساذجة، وفى الثانية لانها اصببت بالضجر، فقد كان زوجها مندوبًا تجاريا لاحدى شركات الادوية، وكانت وظيفته هى السفر بلا انقطاع بين الولايات لتسويق انتاج الشركة، واكتشفت انها اذا بقيت حبيسة فى جدران البيت فسيمضى العمر دون أى شعور بالسعادة، ودون أى مشاركة حقيقية فى الحب! وعندما تم الطلاق - حسب رغبتها - اخذت معها اولادها بعد ان تعهدت بكفالتهم ورعايتهم إلى نهاية العمر، ثم غادرت الولاية التى كانت تقيم بها وجاءت الى كولورادو واشترت بيتا، والحقت اولادها بالجامعة، وتفرغت هى لمهنتها كجرسونة فى النهار، ولبهجتها فى الليل! وهى بهجة تكلفها الكثير، لانها تنتقل كل ليلة من سرير الى سرير ومن احضان رجل الى احضان رجل، وهى ترمى شباكها على هؤلاء الذين يمرون فى كولورادو وفى زيارة عابرة، والغريب اعمى ولو كان بصيرا، وامرأة جرسونة وسمينة فى ليلة غريبة

خير من لا شىء! ولقد دعتنى على الغداء فى بيتها ولبيت الدعوة، واكتشفت انها تسكن فى فيلا تحيطها حديقة مزروعة بالورد ومغروسة باشجار التين والتفاح وانواع اخرى من الفاكهة، وأولادها بنت فى الجامعة وولد فى المرحلة الثانوية، وبنت تعمل فى شركة طيران اوريانت، وولد اخر هجر البيت منذ زمن بعيد ورحل بعيدا الى ولاية فى الشرق! والبنت التى فى الجامعة على علاقة بولد عربى اسمه عبيد وهى تعلق صورته فى غرفة الصالون، والبنت الموظفة تعيش مع رجل يعمل معها فى الشركة، تعيش هكذا فهى لا تؤمن بالزواج، وتعتقد ان الزواج اختراع بشرى ثبت فساده! والدليل على ذلك هو المصير الذى انتهت اليه امها، وكذلك مصير غالبية النساء اللواتى يسكن فى الجوار! واكتشفت انا ان فى الشارع الذى تقطنه الست الجرسونة اكثر من مائة امرأة مطلقّة!!

وفى لوس انجلوس التقيت فى فندق هيلتون ببنت نصفها اسكيمو ونصفها امريكى للاسف، وهذا التعبير «للاسف» ليس من عندى، ولكن حقوق النطق محفوظة للبنت اياها! والبنت النص نص اشهد انها طرية كما قطعة الجاتوه، شهية كما طبق المهلبية، فاتنة كما الصباح الجديد، وهى تشتغل بالاعمال الحرة وجمالها هو رأسمالها، وشبابها هو تجارتها، وهى ليست أسفة ولا نادمة، فهى امرأة اعمال، واذا كانت الاعمال بالنيات، فهى احيانا بالارداف، وهى تكسب ١٥ ألف دولار شهريا، تدفع منها خمسة آلاف للمافيا، وهى التى تدير كل شىء فى العالم السفلى، من اول نوادى القمار الى العاهرات فى الفنادق الكبرى! البنت الاسكيمية الامريكية جربت الزواج مرة واحدة

ثم أعلنت توبتها، وليه يا بقاعة الاسكيمو، لانها لا تستطيع ان تقبع في البيت في انتظار رجل خرج للعمل!! ثم هي تحب الفلوس، والزواج طريق الى الفقر، وهي طموح والزواج يقتل الطموح، وهي موهوبة والزواج مقبرة للعبقرية! والبنت امها كانت من صنف الاسكيمو وابوها كان امريكا ينحدر من اصول المانية، وعندما تزوجت اختارت رجلاً من اصل هولندي، كان يثرثر كثيرا وهو جالس على مائدة العشاء، وينام وهو جالس امام التليفزيون وذات صباح نهضت من الفراش وتركته مع شخيرته واحلامه وهجرت البيت وطلبت الطلاق، هكذا ببساطة وبلا مقدمات، وهكذا ايضا اقسمت برأس امها، ان زوجها الهولندي سيكون هو زوجها الأول والأخيرا

وستجد مئات وألوف من النساء يتجولن ضائعات بين الولايات، فالبنت بعد السادسة عشرة حرة تعيش مع امها اذا ارادت، تفارق اهلها اذا شاءت، تتزوج اذا رغبت، تطلب الطلاق اذا خطر لها ذلك، وعندما زاد الشيء عن حده انقلب الى ضده، واصبحت المرأة الامريكية المطلقة ارحص من السيجارة، وهي ارحص من عقب سيجارة اذا كانت قد فارقت سن الشباب، انتهى العيد الذهبي للمرأة حين كانت امبراطورة في البيت وشريكة في العمل، ونايرة مثل القطع الذهبية! ولم يعد للمرأة الآن الا بعض القشور، وهي للاستهلاك القومي فقط، وللزينة وللرسميات.. مثلا، لا يستطيع رئيس امريكي ان يتقدم ويطلب من الجماهير انتخابه الا اذا كانت معه امرأة متعلقة بذراعه، وهو عليه ان يربت على خدها ويمسح على شعرها امام الجماهير، وهي عليها ان تفتح فمها عن ابتسامة متفائلة، وقد يذهب

كل منهما بعد ذلك الى البيت الابيض أو البيت الأصفر، ليرفع كل منهما عقيرته بالصياح في وجه الآخر، نفس الشيء ينطبق على المحافظين وعلى اعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وهؤلاء النواب سيجوبون دواثرهم الانتخابية مع زوجاتهم يلوحون للجماهير ويبتسمون للأطفال! وبعد الانتخابات سيهرب هؤلاء المحترمون من الشيوخ والنواب الى العاصمة تاركين زوجاتهم في دواثرهم الانتخابية حتى موعد الانتخابات التالية!

لقد أخذت المرأة الامريكية حقوقها كاملة وهي تدفع الثمن الآن، تدفعه من اعصابها ومن وقتها، ففي وسائل المواصلات اراهنك اذا صادفت امريكا واحدا يخلى مكانه لامرأة، ويحذرونك اذا كنت مسافرا على الطرق السريعة من خطر التوقف لنجدة رجل او امرأة، نعم او امرأة، ولو كانت وحيدة، فما الفرق بين الرجل والمرأة واذا كان هناك احتمال ان يكون الرجل من عتاة المجرمين، فالاحتمال وارد بالنسبة للمرأة ايضا، لقد اصبحت المرأة بعضلات ولها شوارب، وبعض النساء كان لهن ذقون كالمأسوف على ذقنها جولدا مائير!

ولقد حصلت المرأة في امريكا على حريتها، ولكنها حصلت في الوقت نفسه على تعاستها، وشهدت امريكا في السنوات الاخيرة أسوأ وأردأ الوان الجريمة والتعاسة والضياع من صنوف النساء، ولكن هذه رواية اخرى، وسنرويها لكم على كل حال.

## ١١ حضرة صاحب العصابة!

كان فى تليفزيون الولايات المتحدة فى تلك الايام برنامجا عظيما ارجو أن تبثه محطات التليفزيون تبعا اكثر من مرة هذا خير من مسلسلات زوزو وحلقات خنجر فى الظلام، وافلام مغامرات الرجل العنكبوت!

البرنامج العظيم الذى كان يعرض فى حلقات على امتداد الولايات المتحدة يحكى قصة امريكا خلال المائة سنة الاخيرة، وهو عمل فنى يدعو الى احترام الامة الامريكية ويشير اليك نحو الطريق الذى يجب ان تسير فيه الامم لتحقيق لها مكانا لائقا تحت الشمس أنا نفسى كنت اعرف مادة الحلقات، قرأتها قبل ذلك فى كتب عن امريكا، ولكن القراءة شىء وتجسيد الواقع فى عمل فنى رائع شىء آخر، ها هى امريكا بلحمها ودمها تنتصب واقفة امامك عارية تماما وصور الحياة تتراءى لناظريك منذ الربع الاخير من القرن الماضى وبيوت الخشب وحنفيات المياه المتصلة بابار، وفرن كفرن المرحومة ستى ينفث دخانا اكثر مما ينفث نارا ولكن الكل يعمل بلا كلل، حتى النساء والاطفال العرق يتصبب من جباه الجميع فى الحقول وفى المصانع والكل

يجوعون مرة ويثبعون مرة، والجميع على باب المولى الكريم،  
ويسألون الله المستر وحسن العاقبة، وكان الرعب يسيطر على  
الجميع، فالعصابات هي سيدة الموقف والمسدد هو القانون، وأهل  
القرى البعيدة لا يعرفون متى يأتيهم الموت وكانت العصابات تهاجمهم  
بغثة أحيانا مرة كل اسبوع أو مرة كل يوم أو مرة في الصباح ومرة  
في مساء، وحدث في أحيان كثيرة أن أيدت قرى بأكملها، أو تم  
القضاء على صنف الرجال فيها ولم يكن هناك قانون موحد لمواجهة  
أعمال الإجرام، بل كان الأمر كله يخضع في النهاية لشخصية  
القاضي، وأحيانا كان يوجد قضاة أصلهم لصوص يتحدثون مع  
العصابات ضد المواطنين، وأحيانا كان من بين القضاة من هو  
أضعف من مواجهة عصابات شرسة ومسلحة وكان هؤلاء القضاة  
يعقدون الجلسات، ويجلسون وراء منصات القضاء وبعد نظر القضية  
والمداولة، كانوا يصدرون أحكامهم بتبرئة المجرمين وكان المجنى  
عليهم يحمدون الله لأن القاضي العادل لم يوقع الجزاء عليهم! ومع  
عصابات القتل والإجرام تأسست عصابات أخرى ولكن من نوع آخر  
قامت هنا وهناك شركات احتكارية، تمد خطوط السكك الحديدية،  
وتستخرج النفط، وتجمع المحاصيل، وتسيطر على قطعان الماشية،  
وتضع علاماتها المسجلة على ملايين الأفدنة لزراع صنف معين  
ومطلوب! وكانت عصابات المال تستأجر وتستعين بعصابات القتل  
وهؤلاء كانوا يوجهون ضد الفلاحين الذي يرفضون بيع أراضيهم، أو  
يغالون في ثمن الأرض وبينما ظهرت أعداد لا حد لها من أصحاب  
الملايين بقيت طبقة عريضة من الأميركيين من أصحاب الفقر، وكان

هؤلاء يتجولون في جماعات عبر الولايات لجمع المحاصيل أو زراعة  
الأرض وكثير منهم كانوا يسقطون مرضى بالسل ويخوتون في النهاية  
دون أن يعنى أحد بمجرد تفهم! وعندما هبت موجة البحث عن  
الذهب في ولايات الجنوب وخصوصا في ولاية كاليفورنيا، اندفع  
مئات الألوف من الناس نحو الجنة الموعودة، يبحثون في الأنهار  
الجارية، وفي أعمال الصحراء، وفي باطن الجبال عن المعدن الذي  
خطف أبصار الناس وخطف عقولهم وتسبب تلك الجنون - جنون  
الذهب - في خراب أمريكا فقد تركت قطعان الماشية تهيم وحدها في  
البراري! وتركت ملايين الأفدنة مزروعة بأجود المحاصيل دون أن يهتم  
أحد بحصدها ونفقت ملايين الرموس من الضأن لأنها لم تجد من  
يرشدها إلى مجارى المياه وجفت الأرض وماتت، وأصبحت أمريكا  
على شفا هاوية! ولكن ميزة الشعب الأمريكي أن الضربة التي لا تقتله  
تزيده قوة، وأن المحنة تزيده لمعانا فسرعان ما ينهض على قدميه مرة  
أخرى ليعاود السعى من جديد! الأميركيون هم أهل من اكتشفوا  
النفط وكانت ملايين الأطنان من النفط تشاهد عائمة تسبح مع التيار  
المنحدر مع المصب، ولكن أحدا منهم لم يفهم في ذلك الوقت سر هذه  
الظاهرة الغريبة، وإنما البعض أنها مياه قدرة من مخلفات الإنسان  
مختلطة بالطين، وأفتى البعض الآخر ربما كانت من مخلفات بركان  
ثار وخمد دون أن يدري به أحد!! ولكنهم لاحظوا بعد فترة أن النار  
تشتغل على سطح النهر إذا القى أحدهم فيه مخلفات غليونه، المهم أن  
أحد الأميركيين راح يعبىء هذا السائل الغريب في زجاجات ويبيعهها  
لأهل القرى المجاورة باعتبارها دواء لروماتيزم المفاصل، والأغرب من

ننك ان الناس كانت تشعر بتحسن فى الصحة بعد فترة من استعمال هذا «العقار»!! ثم ما لبث القوم ان اكتشفوا قيمته كوقود، وهنا نشطت شركات الاحتكار، وراحت تستحوذ على اكبر كمية من الآبار وتبيع اكبر كمية من الكيروسين وكان اعظم المحتكرين هو المليونير روكفلر، عميد عائلة روكفلر الشهيرة فى تاريخ امريكا، وفى تاريخ شارع المال! وكما قامت شركات النفط قامت شركات السكة الحديد وشركات الفواكه وشركات اللحوم وشركات النسيج وشركات الاخشاب وتكونت الرأسمالية الامريكية الحديثة ولكن على طريق كان مشحونا بالعرق وأحيانا ملطخا بالدم! وفى بدايات هذا القرن العشرين تم اكتشاف اختراع السيارة ثم الطائرة وقامت شركات لهذه وتلك ودخلت امريكا فترة رخاء لم تشهد مثلها من قبل! وانتشرت حمى تشييد المدن وشق الطرق وبناء القصور الفخمة وتكونت فى الولايات المتحدة اغرب واعجب واغنى طبقة حاكمة عرفها تاريخ العالم، وسيطرت عدة عائلات على كل شىء من الحديد والصلب الى التبغ، واستخدمت لقرص، نفوذها وتثبيت اقدامها كل شىء وأى شىء من الرشوة الى القتل ومدت نفوذها الى دور الصحف لتكون لسان حالها، واستأجرت العصابات لتكون نزع حالها! وبدأ فى لحظة من اللحظات ان العالم كله لا بد من ان يخضع لهذه القوة الجديدة وأن ينقاد لها!

## عصر الاحتكار

١٢

ولكن، ولأن الطبيعة لها قوانين، وأحد هذه القوانين يقول: كل حركة لها رد فعل مساو لها فى القوة ومضاد لها فى الاتجاه! فلم يكن ملوك الصناعة والتجارة والتهرب والتهلبيب يستريحون على عروشهم حتى ظهرت فى الأفق طبقة جديدة صاعدة من أسفل وضاغطة بالحاح، كانت الطبقة العاملة فى أمريكا قد تكونت خلال عصور القحط وسنوات الشقاء ولكنها كانت مكسورة الظهر محطمة الاضلاع ثم ازدهرت مع بداية الازدهار وكان يمكن للحركة العمالية ان تنمو ببطء وان تتطور فى هدوء لولا ان رجال المال الامريكان اهتموا الى اعجب نظام مالى فى التاريخ وبقدر ما كان النظام الجديد خيرا وبركة على رجال المال والاعمال كان شرا وببلا على طائفة المستهلكين وطبقة العمال وكان النظام الجديد يهدف وببساطة الى تجميع وتوحيد كل الشركات ذات النوعية الواحدة فى شركة احتكارية، وكان قيام مثل هذه الشركة يمنحها امتيازات اقلها خفض النفقات وتحديد اجور العمال واهمها فرض الاسعار على النحو الذى يحقق اقصى ارباح طافت بخيال اصحاب رأس المال! وكانت شركة

«ستاندرد أويل» أول من ارتاد هذا الطريق، وفي الوقت الذي كان فيه منتجور البترول في بنسلفانيا مشغولين حتى الأذان في منافسة دموية، كان ثمة شاب هاديء رزين من رجال الأعمال في ولاية أوهايو، ينهك في هدوء وبدون ضجيج في شراء معامل التكرير في الولاية ويضمها في شركة واحدة ومضى روكفلر متنهزاً فرصة سنحت له وسيطر على معامل التكرير في كليفلند، ثم واصل سعيه فسيطر على معامل التكرير في فيلاديلفيا وبتسبرج، ثم امتدت سيطرته على خطوط الأنابيب، ولم تمض عشر سنوات حتى كان روكفلر قد سيطر تماماً على كل معامل التكرير وخطوط الأنابيب في الولايات وتكررت من هذا المجهود الشاق شركة «ستاندرد» وكانت أول شركة احتكارية في التاريخ!

وبقيام شركة ستاندرد أويل انفتح الطريق أمام الرجال ذوي الإرادة الحديدية والطموح اللا محدود فكونوا عشرات من شركات الاحتكار فأنشأ ارمور وبعض الشركاء شركة لحوم العجول، وسيطرت جماعة جورجنهايم على مناجم النحاس في أريزونا وأنشأت اسرة ديوك شركة للتبغ وما ان حل العام ١٩٠٤ حتى كانت بعض شركات الاحتكار تسيطر على مصالح تبلغ قيمتها ٢٠ بليون دولار بقيمتها في ذلك الوقت وتكونت طبقة من المساهمين والمديرين فاقت سلطتها وثروتاتها سلطات وثروات الامراء والملوك وأصبح المواطن الأمريكي يعيش حياته مربوطاً الى امبراطورية هؤلاء القياصرة الجدد! وبفضل شركات الاحتكار توحدت خطوط السكة الحديد مما أتاح لها خدمات أفضل ولكن أكبر الضربات الناجحة في عالم الاحتكار كانت

في مجال البنوك، وكان بيت مورجان هو أعظم هذه البيوت وأقواها على الإطلاق وفي بداية هذا القرن لم يكن هناك مشروع اقتصادي أو صناعي في الولايات المتحدة ليس لبيت مورجان علاقة به، ويبلغ رأسمال مورجان ٢٥ بليون دولاراً مما دفع الرئيس الأمريكي ويلسون الى القول بأن اعظم احتكار في هذه البلاد هو احتكار المال! ولكن هذا التضخم الرهيب والمخيف لشركات الاحتكار جعل الحكومة الأمريكية نفسها تشعر بالخوف من هذه الشركات التي أصبحت حكومة داخل الحكومة بل ان سلطتها فاقت سلطة الحكومة وأصبحت تملئ عليها سياسات معينة، وتفرض رغباتها على السلطات التشريعية نفسها، وكان الخوف الذي انتاب الحكومات الأمريكية قد تسرب الى نفوس الملايين من الأمريكيين عندما نظروا حولهم وشاهدوا ان معظم مصادر الثروة الطبيعية والصناعات والسكك الحديدية والمنافع الأخرى كان يسيطر عليها حفنة من الرجال لمصلحتهم الخاصة وليس لمصلحة المجتمع، بدأوا يشكون في ان الديمقراطية يمكن ان تبقى وتدوم فالنفقات الباهظة والتمييز في العمالة واغتصاب الاراضي جملة والاساليب السيئة التي اتبعها روكفلر، وكارنيجي في سحق المنافسين، والقوة الوحشية التي كانت تستخدمها الشركات الضخمة في قهر العمال واخضاعهم، ومحاولات محامي تلك الشركات وهم يبحثون عن ثغرات في التشريعات الموجودة، وتحايلهم على النظم الضريبية، كل هذا اثار موجة من الرعب في القلوب، واشاع الاسى في نفوس الجميع! وهبت حكومات الولايات تضع القوانين التي تحظر قيام شركات الاحتكار، وتقدم

المليونير «بيتر كوبر» للترشيح فى انتخابات رئاسة الجمهورية على اساس برنامج «العملة الورقية الخضراء» يحذر من ان الخطر الحالى على نظمنا الحرة لا يقل شأننا عما كان هناك من خطر فى بدء الثورة....!! كما اطلق صيحته المعروفة «أن ارسنقراطية تقوم على اساس المال هى أسوأ انواع الارسنقراطيات» ونفس الاحساس بالخطر دفع الرئيس «كليفند» الى الصراخ عاليا: «ان الشركات الاحتكارية التى كان ينبغى ان تكون مخلوقات تخضع للقانون وتخدم الشعب، اصبحت بسرعة اسيدا للشعب، وفوق كل النظم والقوانين لتنظيم الاحوال فى البلاد وكان اخطرها قانون «أن اى ممتلكات تتصل بالمصلحة العامة أو مخصصة لمنفعة الجمهور تكون خاضعة للتنظيم بواسطة الحكومة»!!

وكان المغزى وراء هذه القوانين والدرس الذى يجب ان نتعلمه جميعا، ان التنظيم ليس ضد الديمقراطية وان تدخل الحكومة مطلوب حتى فى ظل أعظم النظم ديمقراطية وفى مجتمع هو أكثر المجتمعات حرية لان ترك الامور تسير حسب المزاج ووفق مصالح الاشخاص تنتهى حتما الى فوضى لا يعلم مداها الا الله والى ثورة قد لا تستطيع اقوى الحكومات فى العالم على مواجهتها، ليتنا تعلمنا من التجربة الامريكية ما ساعدنا على تنظيم عملية الانفتاح ولا اعتقد ان هناك انفتاحا أكثر من الانفتاح الامريكى ولا رأسمالية اعظم من رأسمالية امريكية ولا مكاسب «على ودنه» قدر المكاسب فى السوق الامريكية!! ولكن كان لابد من التنظيم ومن وضع اللوائح والضوابط والا تحولت هذه الشركات الاحتكارية الى غول يأكل الوطن حسب

تعبير احد زعماء نقابات العمال الامريكية الذى قال: «لقد حلت الشركات الاحتكارية محل العصابات وصار أخطر الخارجين على القانون هو حضرة صاحب العصابة المدير»!!

ولكن شركات الاحتكار الكبرى سواء بعد التنظيم او قبله كان لها الفضل المباشر فى خلق طبقة عمالية كبرى فى الولايات المتحدة فبدون قيام هذه الشركات لم يكن ممكنا حشد كل هؤلاء العمال فى ظل شركة واحدة ويقدر تضخم الشركات الاحتكارية كان تضخم عمالها ايضا وكانت المفارقات الضخمة سببا آخر فى تطور الحركة العمالية لقد كان العمال طرفا اساسيا فى نمو الاعمال الضخمة ولكنهم كانوا طرفا مهملا عند تقسيم الارباح وكان اغلبهم يعملون فى ظل ظروف شديدة القسوة داخل مصانع شديدة الحرارة وتتسم بالضوضاء وفساد الهواء وكانت اصابات العمل من المسائل العادية التى لا توليها الادارة اذنى اهتمام وحتى حوادث الموت بسبب العمل كانوا يدفعون مقابلها تعويضات تافهة لا تكفى مصاريف الجنازة وخارج المصانع كان العمال يتكدسون فى احياء قذرة ولم يكن للعمال ممثلون فى المجالس التشريعية الا عددا اقل من القليل، ولم يكن هذا العدد كافيا لاعلان رأى الطبقة المسحوقة او الحصول على مكاسب لها! وخلال الفترة من عام ١٨٧٠ الى عام ١٩١٠ تدفق أكثر من عشرين مليون مهاجر للبلاد، وكان كل هؤلاء فى لهفة للعمل فى المصانع والمناجم ومهما كان الاجر وتحت اى ظروف وبسبب تدفق الهجرة ازداد الهبوط فى الاجور والهبوط فى المستويات وانتهى الامر باتحاد العمال الى الشلل التام وبالرغم من تلك الظروف التعسة فقد كافح العمال ببسالة

وخلال ربيع قرن كان أول الاضرابات التي قام بها هؤلاء بلغت ٢٧ ألف اضراب وكان نتيجة هذا النضال المستمر حصول العمال على معظم حقوقهم في عام ١٩٠٠ وقبيل بدء الحرب العالمية الاولى كان محظورا تماما في كل الولايات المتحدة استخدام الاحداث في المصانع، كما حصلت النساء العاملات على حق اجازة الحمل.

## حكومة امافيا



... وإذا كان الامريكى الابيض هو فتوة العالم، وهو الذى يلقى الرعب فى قلوب اهالى الكاريبي، بنفس القدر الذى يلقى فيه الرعب فى قلوب اهالى بحر الصين، والسبب انه فتوة من نوع جديد، فهو لا يلوح فى يده بشومة تكسر الادمغة والضلوع، ولكنه يتسلح بقنابل ذرية وقنابل هيدروجينية وقنابل نظيفة تمسح صنف البشر، ولكنها تبقى على الجدران وعلى ارضفة الشوارع! ولكن حكمة الله انه فى داخل امريكا نفسها يعيش الامريكى الابيض كالفار المسلوخ، وصنف البورتوريكو هو بعبع الامريكى وعفريته الازرق، وهؤلاء العيال وارد بورتوريكو وهم ملوك امريكا بلا منازع، وهم يعملون فى احقر المهن. كخدم فى الفنادق وعمال فى البنارات وحراس للمبانى وصياع فى الميناء ولكنهم فى الشوارع اصحاب جلاله وسعادة ومقام رفيع. ويكفى ظهور بورتوريكى واحد فيلزم الجميع الادب، حتى الزوج يحسبون الف حساب للبورتوريكى الطيب، لان يده كالمطرقة وسلاحه الابيض يسبق لسانه عند المناقشة والحوار. وسبب الحظ من يختلف مع البورتوريكيين. لانهم يعيشون فى امريكا وكانهم فى عصر القبائل



وعندما تنشب المعركة يتنادون للقتال وعندما يصيح احدهم وايورتوريكاه ستزحف جحافلهم من الحواري والأزقة ومن فوق الاسطح ومن تحت الانقاض وفي بورتوريكو حركة وطنية ثورية تطالب بالاستقلال وتعمل طلائعها تحت الارض داخل الولايات المتحدة، تفجر الطائرات في الجو، وتنسف القواعد العسكرية في الارض، وتثير الرعب والذعر في قلوب قادة البنتاجون. وبرغم المخابرات المركزية والمخابرات الفرعية، وبرغم العقول البشرية والعقول الالكترونية، لم تستطع السلطة القبض على احد افراده، بالرغم من ان التنظيم يعمل داخل الولايات المتحدة منذ أكثر من عشر سنوات، ويعمل في حفظ الله وسلامته! واذا كان البورتوريكو هو البعبع رقم اثنين، ويأتي الايطالي بعد الزنجي. وهؤلاء الطليان هم اول من ادخلو الجريمة المنظمة في امريكا، وأول من أسسوا عصابات المافيا، وفرضوا من خلالها الذعر والرعب في كل الولايات، وجاء يوم على امريكا كانت عصابات المافيا هي الحكومة الحقيقية هي التي تتحكم في انتخابات الرئاسة، وهي التي تمهد الطريق امام السيناتور للوصول الى الكونجرس، وهي التي ترسم السياسة للوزراء، وهي التي تجلب المخدرات من خارج الولايات الى داخلها، وهي التي تسيطر على كل شيء في البلاد وتشتري الشرطة والصحافة والنواب. ويأتي المكسيكي بعد الطلياني ويحتل الهندي الاحمر ذيل قائمة الاصناف التي يخافها الامريكي الابيض، ولكن صنف الامريكي الاحمر نادر، وبعضهم لا يزال يحمل روح التحدي ويستعد للثأر ولكن اغرب شيء اكتشفته في امريكا هو ان العربي اليمني هو بيع جميع

الامريكان في مدينة ديترويت. وهناك ستجد اليمني امامك في كل مكان. في المصانع. في المزارع. في الشوارع، وربما استطاعوا ان يدفعوا بممثليهم الى منصب محافظ الولاية والله على منظر اليمني وهو يتمشى افرنجي على ارصفت ديترويت في المساء بملابس اليمن التقليدية، الملابس المزركشة والعمامة الملفوفة بعناية والخنجر الذي يتوسط الحزام. وابناء اليمن هم انشط جالية عربية على الاطلاق. منهم العامل الذي يفتح الدم من طلوع الشمس الى طلوع النجمة، والتاجر الذي يتخاطب بالتلكس عبر البحار، وما اكثر العرب في امريكا، ولكن ما اكثر مشاكلهم، واعجب شيء ان العرب - كما في خارج بلادهم - شعوب وقبائل، ليس ليتعارفوا، ولكن ليتقاتلوا، ايامهم ولا يوم داحس والغبراء، وحربهم ولا حرب البسوس، وليس اشرس ولا اتعس من الحرب الدائرة بين العرب والعرب داخل الولايات المتحدة الشيوعي ضد البعثي، والبعثي ضد الناصري، والناصرى اليسارى ضد الناصري اليميني، والتقدمي ضد الرجعي، والرجعي ضد الوطني، واعضاء الجماعات الاسلامية ضد الجميع! ولو نصف الحرب الدائرة الآن بين بعض العرب والبعض الآخر، لو نصفها فقط بين صنف العرب وصنف اليهود في امريكا، لانجزنا اشياء عظيمة ولحققنا نتائج باهرة. ولكن اخطر من هؤلاء العرب المغتربين عرب آخرون من طراز مختلف، هم العرب اليانسون.

ولانهم يانسون فقد اعطوا ظهورهم ليس للقضية ولكن للعروبة نفسها، ودفعهم هذا الموقف ليتحولوا الى امريكان، وليس بالجنسية فقط، ولكن بالمفهوم والعقلية والمزاج. واحد من هؤلاء قابلته في مدينة

دالاس مهنته جواهرجى ومتزوج من امريكية ويملك قصرا فخما فى ضواحي المدينة ودخله لا بأس به ويتكلم عربية سليمة، ولكنه يفضل تطعيمها عند الحديث بكلمات انجليزية بطريقة امريكاني، قال الاخ الجواهرجى العربى الامريكى، قبل ان احضر الى امريكا حاولت الاستقرار فى بلد عربى، ولكنى قوبلت هناك احيانا بالقسوة و احيانا بالاحتقار! ولكنى هنا - هكذا يقول الاخ اياه - احسست بالانتماء لهذه الارض لحظة وضعت قدمى عليها، كان الود هو اول اللقاء واخره كان الاحترام، واحد آخر يعمل سائقا لتاكسى، والتاكسى تملكه زوجته الامريكية، وهو يحقق ربحا لا بأس به، ويعيش عيشة لا بأس بها، ويكره العرب اضعاف كراهيته لليهود، واول عبارة نطق بها عند لقائنا (لو كان صباعى عربى لقطعته) ليه؟ لانه كان فى بلد عربى فضاق به الحال وفاض به الكيل، فسب «ديك» ابوالحكومة. وهى عادة عند الاخ اياه كلما تنرفز سب «ديك» أى شىء وكل شىء، «ديك» اهلك ديك النهار هايدا ديك الشغلة هايدى انها نكتة اكثر منها موقف ولكن بعض حكوماتنا لا تعرف المزاح ولا تحب الهزار، ونهار ابوه ازرق، من شرطى الى مركز شرطة الى سجن تحت الارض الى محكمة سرية الى خيانة عظمى الى مصير اشبه بالموت ولا ينقذه الا انقلاب - أستغفر الله - اقصد ثورة فالحمد لله كل انقلاباتنا ثورات وكل عساكرنا ثوار، وكل احاديث زعمائنا برامج للتنمية والتعمير والانشاء! وعندما انطلق هاربا من بلاده - بلاد العرب لجأ الى بلاد الامريكان، وهناك وجد الولد اياه نفسه وعثر على ذاته. فهو هنا يسب ديك الحكومة وديك رئيس الولايات المتحدة وديك الولايات كلها فردا

فردا والحاضر منهم يعلم الغايب ومع ذلك فلا تحقيق ولا شرطة ولا سؤال! فكل انسان على هذه الارض حر فيما يعتقد وحر فيما يقول، يسب ديك الحكومة، يسب ديك الناس فليس فى الامر جريمة ولا مخالفة ولا يحزنون

واحد آخر من هذا النوع التقيت به فى ولاية كاليفورنيا، هاجر الى امريكا لانه اضطهد فى بلاده فهو صاحب رأى مخالف لرأى السلطة، وهو عندما كان فى بلاده كان لا ينام الليل، فهو يهب مذعورا كلما توقفت امام بيته سيارة، وينتفض مذعورا كلما طرق الباب طارق، ويرتعث بدنه كلما بق جرس التليفون، وتسلس الاخ اياه هاربا ولجأ الى بلاد الامريكان، والله على امريكا وعلى حلاوتها، فهو هنا لا يخاف شيئا الا الحوادث ولا يهاب احدا الا اللصوص، ولكن الحكومة لا تخيف احدا ولا جريمة على من يعمل ضدها او يهتف بسقوطها، ولذلك هو امريكى جدا حتى النخاع، اما هؤلاء الهمج يقصد اهلنا، وأما هذه الخرابة يقصد بلادنا، فهو منهم ومنها براء!

هذه النماذج هى ظاهرة عامة بين العرب فى امريكا وبعض هذه النماذج لا امل منه ولا امل فيه، والنتيجة انهم ضاعوا الى الابد. ولكن هناك من بينهم من يقف على اهبة الاستعداد ليكون فى صفك اذا حقق العرب اى انتصار أو انجزوا اى نجاح، واذا عادت الصفوف، ولكن فى ايام الانحسار ستجدهم هكذا ينكرون كل شىء ويسبون كل شىء ويحتقرون الارض وما عليها! فى خلال حرب اكتوبر وعندما تحقق لهؤلاء ان النصر فى جانب الجيوش العربية، كان هؤلاء اول من خرج للشارع يجمع التبرعات ويعقد الندوات ويقود المظاهرات.

وعندما عادت دولة اليهود الى الغطرسية، عاد هؤلاء الى الانكفاء وتواروا في الظل ودخلوا في البيات الشتوى والى حين يستطيع العرب تحقيق نصر آخر! هناك نوع آخر من العرب التقيت به في اماكن متفرقة في الولايات المتحدة، عرب متطرفون ومضحكون كذلك. بعض هؤلاء يرى انه لا خلاص ولا أمل الا بتحقيق الاشتراكية وتوزيع الثروة وتعميم الثورة ولو ادى الامر الى اغراق الارض بالدم، ولا طريق من وجهة نظر هؤلاء الا بضرب الشواشى العليا للبرجوازية متضامنة مع الفلول الانهزامية متواكبة مع الاستيطان الانغلاقي من اجل تحقيق فائض القيمة للوصول الى المجد الشنكجورى المتهافت على الحنجورى!! وتساءله وما الحل؟ فيجيبك لا حل الا بأن يقفز تنظيمه على الحكم ويتولى امور البلاد والعباد! وأين هذا التنظيم؟ وتكتشف ان التنظيم هو هذا السيد الفاضل، اقصد «الفاضل عدة ساعات، فستكتشف انه يهدف فى النهاية الى نتيجة اقل من النتيجة التى اسفرت عنها كامب ديفيد! فالمشكلة ليست فى اسرائيل كشعب ولكنها فى اسرائيل كدولة - لأنها من وجهة نظر الاخ اياه - دولة الترجمة الحقيقية لشعار الاستعمار هو ارقى مراحل الرأسمالية، والكفاح ضد اسرائيل الدولة ينبغى ان يبدأ من اسرائيل ومن الوطن العربى ايضا، وعندما تسيطر طبقة العمال فى اسرائيل وفى الوطن العربى ايضا ستنتهى المشكلة حتما. لانه اذا كان ليس بين الخيرين حساب فليس بين الاخوة العمال مشاكل! وهذا الاخ اياه وأمثاله لا وزن لهم ولا قيمة، لان بعضهم عملاء بأجر، ومعظمهم اطفال فى مدرسة رياض الاطفال السياسية. هؤلاء كان لهم صوت مسموع فى

الوطن العربى خلال حقبة الاربعينات ولكنهم الآن تغيروا بعد ان اكتشفوا الحقيقة واختفت القيادات اليهودية من حركتهم. ولكن الذين ينبغى ان نهتم بهم هم هؤلاء الملايين من المواطنين العرب فى الولايات المتحدة الامريكية الذين لا انتماء لهم ولا اتجاه.

هؤلاء الذين التوت ألسنتهم واصبحوا يتكلمون العربية بلهجة امريكية، حتى الدين نفسه، اصبح فى خطر، فهم يتزوجون من امريكيات ويتركون لابنائهم حرية الاختيار هؤلاء سنخسرهم حتما اذا لم نهتم بهم ولكن ما هو الاهتمام الذى يجب ان نحطيمهم به؟ هذه قصة أخرى.

## «أمريكا يا ويكا» ١٤

.. وأخشى ان يفهم البعض دعوتى للاهتمام بالعرب الامريكان اننى اطالب بالاهتمام بهم سياسيا او ايفاد البعثات لتوعيتهم من اجل سلوك الطريق النضالى الاشتراكى الوجدوى المتعانق مع الفجر القادم والبزوغ الاتى تحت قيادة الزعيم المناضل او الزعيم المجاهد او القائد المقاتل او الرئيس الملهم او الرئيس البطل،، الى اخر هذه التسميات التى شبعتها منها على مدى نصف قرن من الزمان، انا لا اقصد الاهتمام بالعرب الامريكان على هذا النحو ولكن اقصد الاهتمام بهم عن طريق تنظيمات تضمهم وتربطهم بالعروبة كجنس وبالعربية كلغة وبالاسلام كدين، وهى مسألة ضرورية للغاية وفى الدرجة الاولى من الاهمية ان يكون الاهتمام بهم على المستوى القومى، وان يكون الهدف هو خدمة قضايا العرب الرئيسية. ويمكن استخدامهم بعد ذلك كوسيلة ضغط على صانع القرار الامريكى، وحبذا لو بدأنا بانشاء مجالس عربية للمحافظة على اللسان العربى فى الاجيال القادمة. واظن انه عار وعيب ايضا ان ينشئ العرب عدة نواد ليلية وكباريهات وبارات فى واشنطن ونيويورك ولوس انجلوس ولا ينشئون مدرسة واحدة فى طول الولايات المتحدة الامريكية

وعرضها! ثم اين المساجد والمراكز الاسلامية؟ واين الدعاة والرسول يذهبون ويعودون بيننا وبينهم؟ واين الندوات والمؤتمرات؟ ليبقى الجسر موصولا بين عرب الوطن وعرب الولايات... ولقد رأيت في لوس انجلوس مثلا، حيا مصريا لحما ودما، وكأنه جزء من حي شبرا، نفس الزحام ونفس الروائح ونفس الاطفال في الشوارع، فلو قدر لك وزهبت الى هناك فستسمع في دروب الحي نفس الشتائم، وستلتقي ببائع البلح، وبائع الجوافة ودكاكين تولى الطعمية وتدمس الفول، وستسمع اغاني عبدالوهاب وام كلثوم ومحمد طه وشفيق جلال وعبدالحليم حافظ، وفي ولاية اوهايو وجدت عربا هم نموذج اعظم على ما نستطيع تحقيقه لو أحسننا العمل واخلصنا النية وعقدنا العزم على ان نخدم العروبة والاسلام، في مدينة سنسناتي عاصمة الولاية وجدت رابطة عربية اركانها عرب امريكان، طبيب علم النفس مصرى وابنته الطالبة تدرس الفلسفة في جامعة الولاية، وطبيب بشرى من فلسطين، وطالب بعثة عراقى، وتاجر سورى ورجل اعمال من الامارات، وشاب ليبي، وسيدة مغربية، وزول من السودان، وهي مجموعة منسجمة ومتكاملة وتصدر مجلة شهرية بامكانات قليلة واحلام كبيرة، ولقد اعتذرت بنت الدكتور الفلسطيني (اعتذرت لاونكل سعدنى) «بيكوز شى هاف توجو، اندشى هوب توميت مى أجين» الكلمة الوحيدة التى نطقت بها بالعربى كانت السعدنى! بنت الطبيب المصرى وهى المشرفة على المجلة الشهيرة كانت تبكى كلما جاء ذكر مصر، فهى لم تر مصر فى حياتها، والبلد العربى الوحيد التى رآته كان العراق، وإندهشت عندما رأت فى العراق اناسا وسيارات وعمارات وحدائق، فقد كانت تظن ان بلاد العرب صحراوات، بدو

وقوافل وجمال ومضارب شعر وقيس يغنى على ليلاه! فى مدينة «ليويرفيل» بولاية كانتاكى، التقيت بمصريين طيبين يعملون موظفين فى الصباح وتجارا بعد الظهر، وهم يتاجرون فى بضاعة خان الخليلى، عقود ومسابح وتمائيل وجعارين ويكسبون دولارات قليلة، ولكنهم عند التحويل تصبح نقودا مصرية كثيرة تعينهم على اداء الواجب نحو الاهل فى الوطن الأم! وهم سذج فى السياسة ويتصورون ان بلاد العرب تعوم على بحر من الفساد، ويخشون من التأميم والمصادرة مع انهم لا يملكون سوى بدلة واحدة، وبعضهم يرتدى «جاكته شكل» و«بنطلون شكل» وحذاء اغلب الظن انه من وكالة البلح، وعندما تحدثت معهم عن ضرورة عمل عربى مشترك فى امريكا! اقتنع بعضهم بمنطقى وتشكك البعض الاخر ولديهم بعض الحق، حيث ان كل عربى فى امريكا مشغول بنفسه وبمصالحه ولا شىء آخر! ولكن اغرب من قابلت من العرب فى امريكا، بنت مصرية تعمل راقصة فى ناد ليلى فى سان فرانسيسكو، وبنت اردنية ترقص فى نادى على بابا بلوس انجلوس، وهى اول مرة اكتشفت ان الاردنيات ينافسن المصريات فى «هز» البطن! البنت المصرية تعمل راقصة فى الملهى ليلا ومدرسة رقص شرقى فى معهد امريكى نهارا، وهى تقول انها جاءت الى امريكا بعقد كأستاذة للرقص الشرقى، فهى سفير للفن العربى فى بلاد العم سام، ثم اكتشفت وهى فى امريكا انها تستطيع ان تحقق دخلا اخر من خلال عملها فى الملهى ليلا فلم تتردد، ولكن الشىء الذى اثار الراقصة هو ان جميع رواد الملهى من العرب، بعضهم من الخارج، وبعضهم من بلاد ترفع شعار الثورة اللى ما يغلبها غلاب وتنادى بتحقيق الاشتراكية وتحرير الوطن

من النهر الى البحر، وهي لانها تعيش فى العالم السفلى، فهي لا ترى امامها اى وميض من النور، وليس هناك اى امل، واذا كان العرب يبعثرون اموالهم فى علب الليل، فماذا تريد من راقصة ان تفعل؟ «يا خويا خلى الطابق مستور وخلينا فى حالنا» هكذا قالت الراقصة المصرية وهي تستأذن فى الانصراف... فقد دقت ساعة العمل الثورى! أما البنت الاردنية فقد كانت ترقص فى ملاهى دمشق ثم انتقلت الى ملاهى بيروت قبل ان تشتعل النار فى بيروت وتاكلها، وكان لها اكثر من تجربة مع زبائن عرب اصحاب نفوذ واصحاب قوة، وكانوا يدخلون الملهى وفى جيوبهم مسدسات، فهم مناضلون ايضا! ثم عبرت البحر الى امريكا لتكتشف ان كل عربى هنا عالم لوحده، وكل عربى جزيرة منعزلة، وبعض العرب يستأجرون الملهى كله ليلة واحدة لينعموا فيه وحدهم ومع اصدقائهم وينفقوا عشرات الالوف من الدولارات، ثم غمزت البنت الاردنية بعينها وهي تقول «هل تعرف ان صاحب الملهى يهزى واسرته لاتزال تعيش فى تل ابيب؟».

وتكن فى المقابل هناك عرب افاضل، ولكن قلة، ويبدلون جهودا عربية صادقة وان كانت ضعيفة، اتحاد الطلبة العرب يحاول ولكن وسط غابة من المشكلات والمعوقات، وأسوأ ما فى الاتحاد ان الايديولوجيات فيه على ودنه، والنقاش داخله يجعلهم كخلية نحل ولكن برطانة لا يفهمها العربى العادى، وفى كل فترة يتغلب تيار سياسى على الآخر ويحاول ان يجرهم خلفه، بعض التيارات تحاول فرض رأيها بالعافية وبالفلوس، والخلاف الحقيقى ليس على برامج أو مبادئ، ولكن وسط جلبة من المناقشات البيزنطية؟ ويبدو أنهم لم يصلوا الى حل بعد، لأن البيضة لم تنطق والفرخة لم تتكلم! وهناك

عدة روابط عربية وكل منها تكافح فى طريق معاد للاخرى ومضاد لها! وهناك عرب «صيع» يبدؤون الطريق دون مرشد او معين، وخطر سقوط هؤلاء فى قبضة الاعداء وارد... وحصل! وهناك قصص يتداولها العرب فى الولايات، وبرغم قبح الصورة وسوء الحال، فان العزاء الوحيد هو ان حال العرب فى الولايات المتحدة هو انعكاس لحال العرب فى الوطن، ولو انصلح حال العرب فى داخل الحدود، لانعكس الحال فى الخارج، ولو زعيم قام بجمع شتات الامة ويدعو الجميع الى النهوض، ويمنحهم الأمل فى عالم أفضل، لو حركة انتصار واحدة على المستوى القومى، لو خطوة شموخ واحدة فى مواجهة العدو الاسرائيلى، لو نحن واحد يعزفه الجميع من الخليج الى المحيط، لو حدث شىء من هذا، نهب جميع العرب فى الخارج وانتظموا فى صف العروبة وزحفوا تحت نواتها، ولكن لولا الاسف الشديد تفتح عمل الشيطان، وهي كلمة صغيرة ولكنها تحتاج الى معجزة لكي يصبح لها محل من الاعراب!

ولكن صبرنا على الكارثة انه حدثت معجزات كثيرة لشعوب كانت مثلنا من قبل، فهكذا كان الفيتناميون فى فرنسا قبل الحرب العالمية الاخيرة، عندما نى المطاعم وفوائد فى البيجبال وجواسيس للمكتب الثانى الفرنسى، فلما جاءهم هوشى منه، انكشف الغطاء عن المعدن الفيتنامى الحقيقى، فلما به ذهب رتان وحديد صلب لا يلين، وهكذا ايضا كان صنف الجزائرى فى باريس، كان من بينهم سماسرة حى البيجبال وسائقوا التاكسى فى الليل وخدم فنادق ونواد وصالات قمار. فلما انطلقت رصاصات الثورة فى سماء الجزائر، وهب بن بللا ورفاقه، انطلق هؤلاء الذين كانوا مجرد حثالة ليصبحوا اسودا

وابطالا، وكانوا أعظم احتياطي للثورة وأقوى أجنحتها على الإطلاق، وفي أيام المد العربي في الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات، كان كل عربي في أوروبا وأمريكا قنبلة موقوتة، وكانت أجهزة الامن في بلاد الخواجات لاهم لها الا مراقبة العربي، حتى من ذهب الى هناك للمتعة! ذلك لان الامم عندما تخيب، تخيب بكل فصائلها، وعندما تهب، تهب بكل أجنحتها، وتسألني ومتى يكون النهوض والنفير؟ واجيبك عندما تصبح امور العرب في ايديهم وحدودهم مفتوحة امام اصدقائهم وبنادقهم مصوبة نحو اعدائهم وعرباتهم الملقومة تنفجر داخل بلاد الذين هزموهم وأذلوهم، عندما يكون العالم في معمله والزارع في حقله والاداري في مكتبه والكاتب في موقعه بين الناس والفدائي عند خط النار وليس في فندق خمس نجوم، وعندما تكون الشعارات مطابقة للاعمال، والاعمال سابقة للاقوال، وعندما تكون الحكومة وكيلة عن الشعب والشعب فوق الحكومة، عندما يأمن العربي في ارضه فلا يخاف طارق الليل ولا جاسوس النهار، عندئذ تشرق الشمس على ارض العرب ويتحقق النصر الى طال الشوق اليه، ولن نكون في حاجة عندئذ الى رأى عام دولي ولا أمم متحدة ولا مجلس أمن نرفع اليه شكوانا، كما تفعل المطلقات والايتماء وابناء السبيل!

والآن، لقد كنا في رحلة في بلاد العم سام، ولكن هموم الوطن شدتنا اليها، ولكن لابد لنا من وقفه نلقى فيها نظرة أخيرة على البلاد المترامية الاطراف من المحيط الى الخليج، نظرة أخيرة قبل أن نرفع قبعتنا وداعا ونرحل بعيدا عن بلاد الذهب الاصفر والذهب الاسود والتراب الذي ينافس الذهب في البورصة وفي الاسواق!

## ١٥ نذيب وتغليب.. وابطال!

كل شيء في أمريكا تجارة.. الرياضة والسلاح والحب...!! المهم ان يكون معك فلوس. وان تدفع الثمن عند الاتفاق ومن حقدك بعد ذلك ان تحمل التجارة وتمضى الى المكان الذي تريد! وقد تكون البضاعة دبابة أو غواصة أو امرأة في طعم القشطة وفي عمر الورد، او لاعب رياضي شهير...!!

والرياضة في أمريكا حق لكل مواطن كالماء والهواء واكل الذرة المسلوقة، وهي في التنس تتقدم الدول، وفي السباحة هي ست الكل، وفي العاب القوى هي اعظم من الكل، وفي الملاكمة هي الكل في الكل!!! وهي حق من حقوق الجميع حتى المواطن في السجن وحتى الغريب اللاجيء.. وحتى الزائر عابر السبيل! وبلغت نفقات الرياضة في السجن مليار دولار في عام ١٩٨٠ وبعض ابطال الملاكمة من المحترفين هم رواد سجون وخريجو ليمانان واصحاب سوابق ليس لهم اصل ولا فصل ولا جذور!

وقصة الولد ليستون شرير الحلقة لا تزال عالقة بالانهمان كان زعيما من زعماء البلطجة ونجما من نجوم الليل، مارس النشل فترة

وقضى فترة من حياته فتوة في حى من احياء البغاء، واشتغل لصا محترفا في عصابة تهاجم المنازل والبنوك وتعلم الملاكمة فى السجن، وفى اوائل الستينيات لمع نجمه، وانتزع بطولة العالم ولم يهنا بها سوى ستة شهور وفجأة اطاح به محمد على كلاى فترك الحلقة وعاد الى الشارع من جديد.. والتحق بالعصابات من تانى ولكنه عندما عاد لم يكن ذلك اللص القديم الذى يعرفونه، عاد اكثر غرورا واشد شراسة فقتله رجال العصابات!! وقيل انه مات من شدة السكر وقيل انه انتحر، ولكنه ذهب بسره الى قبره ولا يعلم الغيب الا علام الغيوب!

ولد آخر من ابطال الملاكمة قضى حياته كلها فى السجن وتدرج فيها كائى مجرم من الملجأ الى اصلاحية الاحداث الى السجن الى اليمان الى معتقل سنج سنج الرهيب، الذى لم يخرج منه احد خلال ثلاثين عاما طويلة الا لتلبية نداء ربه الا هذا الولد (كونتى) الذى خرج من السجن لملاقاة حظه ولقد سمحوا له بالخروج لانه ابدى طاعة عمياء طول فترة سجنه وسلك سلوكا ممتازا لا غبار عليه ونبغ نبوغا عظيما فى فن الملاكمة حتى طمع المشرفون على السجن ان يفوز سجين اخر بلقب بطل العالم، وقبل محمد على كلاى ان ينازل الولد السجنى وخرج الولد المحظوظ الى حلبة الملاكمة ليقابل بطل العالم وابدى خلال الملاكمة قوة على التحمل ولكن حكم الحلبة اضطر لوقف المباراة بعد الجولة السابعة... فقد وقف الولد على الحلقة كالشوال يتلقى اللكمات دون ان يتحرك... فلم يكن قادرا على ان يرفع يديه ليدافع عن نفسه، ولم يكن قادرا حتى على السقوط... والرياضى فى امريكا يباع ويشترى كأنه جاموسة فى سوق الثلاثاء... وليس له

الرأى عند البيع او عند الشراء... هل تعرفون (اسامة خليل) نجم فريق الاسماعيلى ومنتخب مصر فى السبعينيات؟ لقد رحل الولد من القاهرة ليحرب حظه فى امريكا واشتغل الولد لعيب كرة فى احد نوادى نيويورك وأجرة قدره ثلاثة آلاف دولار فى الشهر خلاف الشقة والسيارة ومكافآت التعادل والفوز وهدايا المحبين والمشجعين... واستقر الولد فى مدينة نيويورك هانئا بما هو فيه شاكرا رب العباد على نعمائه... ومر عام وتوجه اسامة الى النادى فوجد ابوابه مغلقة وليكتشف ان صاحب النادى باع النادى بما فيه وبمن فيه... ادوات ومعدات ومدربين ولاعبين الى شركة فى كندا وان على الجميع ان ينتقلوا الى هناك! ورحل اسامة الى كندا فهكذا تقضى القوانين، فاللاعب مجرد شىء فى النادى وهو لحظة التوقيع على العقد يكون قد وافق على بيع نفسه وشخصه وليس فنه او لعبه وعلى صاحب الشغل ان يتصرف فيه وكما يشاء خلال المدة المحددة، فى كندا فوجيء اسامة بأن الشركة التى اشترت النادى قد قامت ببيع النادى مرة اخرى الى مشتر آخر فى كاليفورنيا وحمل اسامة عصاه على كاهله ورحل الى لوس انجلوس فهو بعد ان وقع العقد اصبح موظفا بدرجة جناح أيمن فى فريق الكورة ويحضر الى النادى حسب نظام صارم ويخضع لنظام دقيق وهو يتدرب فى مواعيد ثابتة، ولا تتغير ولا يقبل اى اعتذار الا فى حالات المرض الشديد، واذا حدث وتمارض اللعيب وقعوا عليه الجزاء واحالوه الى لجنة التحقيق... واذا حدث وتماذى اللعيب فى الدلع وامعن فى التزويغ فان قرارا بالفصل فى انتظاره والطرده من النادى هو مصيره المحتوم!



وايطاليا في كأس العالم العسكرية في كرة القدم تمكن الفريق الايطالي من احراز هدفين في الشوط الاول وكان يكفي مصر التعادل، لتفوز بكأس العالم ويحثوا عن الكابتن اياه خلال الشوطين حتى عثروا عليه في مقهى في عابدين يجلس مسرورا اخر هدوء وانسجام!! وسحبوه من يده الى ارض الملعب والبسوه زي الكورة وهو غائب عن الوعي لا يكاد يعلم ماذا يجري من حوله والغريب انه اشترك في اللعب واستطاع تسجيل هدفين وتعادلت مصر مع ايطاليا وفازت بكأس العالم واصدر اتحاد الكورة قرارا برفع الوقف عن اللاعب ويا دار ما دخلك شر!!

وباسلوب حياتنا وبالطريقة السبيلية والتوكلية التي تمضى عليها امورنا قد يقول قائل وماله الطرد او الفصل؟ سيذهب اللاعب الى ناد آخر وقد يأخذ اجرا اكبر وقد يجد ظروفًا افضل وسيعاود حياته من جديد، هذا يحدث عندنا ولكن الذي يحدث في امريكا هو العكس، نهار ابوه ازرق اللاعب الذي يطرده ناديه سيصوع ولا كلبة مسعورة وسيضرب ولا حمار في مطلع وسيجوع ولا مؤمن في بلد كلها خنازير.... لأن النادي الذي سيطرده سيصدر في الوقت نفسه قرارا بوقفه عن اللعب، واذا صدر قرار بوقفه عن اللعب فليس لاي قوة في العالم الحق في ان تخرج عن هذا القرار واللاعب يعرف ان مصيره معلق على قرار من هذا النوع ومستقبله مرهون بموقف من هذا الطراز وعلى اللاعب ان يلتزم بقوانين النادي وتعليمات المدرب وان يحظى بعطف وحب وتشجيع ناديه، لأنه لا مهرب امامه ولا طريق للنجاة وليس هناك وسيلة للعيش الا باحترام القوانين والتفاني في خدمة النادي والاجادة في اللعب لكي يحظى فوق كل ذلك بتأييد الجماهير..

عندنا في بلادنا كنت اعرف لعيبا نجما يتسكع عند خط التماس والكل يتوسل اليه لكي يشترك في المباراة وكان النجم يدعى المرض في البداية ثم يساوم في النهاية ليحصل على أجر معين وكان لا يخلع ملابسه الا اذا تناول الاتعاب... اعرف نجما آخر كسر جميع القواعد وخرق جميع القوانين وتحدى كل النظم والاعراف واضطر اتحاد الكورة في مصر الى وقفه عن العمل لمدة عام ولكن لم يمض شهر على هذا القرار... حتى احتاجوا اليه فجأة وفي مباراة بين مصر

## ١٦ تجارة الرياضة

اللعبة هنا على الكيف وهناك على اللائحة والعلاقة هنا بالمزاج وهناك بالقانون، واللاعب هنا هو الذي يتحكم في النادي والنادي هناك هو الذي يتحكم في اللاعبين ولذلك فالرياضة عندنا تسير في خط متعرج وتسير هناك على خط مستقيم. وهنا نلعب يوما كالبرازيل ويوم كالزراير... وهناك يلعبون بمستوى واحد ويحققون نتائج معروفة سلفا لان كل شيء هناك بالكمبيوتر والحساب وليس بالنية وحسب التساهيل... ولكن اللعيب هناك يعامل كملك وله حقوق ولا حقوق نجم السينما واجره يتيح له حياة كريمة يحرص هو على استمرارها ولذلك يحرص على الطاعة وتنفيذ الاوامر والبنود، وفي اغلب بلاد العرب يحترف اللاعب عشر سنوات وينتهي الى التسول وان ساعده الحظ وجد نفسه موظفا في ارشيف مصلحة الجارى، او بوابا في عمارة من عمارات الاوقاف! أعرف لاعبا (دوليا) مثل مصر في اولبياد طوكيو وحصلت مصر على المركز السادس وكان شهيرا وجهيرا واسمه يدوى كالتبل في المنطقة العربية والافريقية وفي بلاد ما وراء البحار، ويسرح الآن بجرديل قازوزة على المصيفين في بلاج

بورسعيد صيفا، ويسرح بملابس مسروقة على أرصفة بورسعيد شتاء، وينام بعض الليالى فى بيته واغلب الليالى فى قسم بوليس المناخ.... كيف صاع الدولى وضاع؟! لاننا نستخدم اللعيب بأقل الاثمان ثم نرميه فى النهاية لأتفه الاسباب.

وفى فترة تألقه نحرص على حاضره ولا نهتم بمستقبله لاننا نعامله كلاعب وليس كإنسان، فهو مجرد آلة عندنا ينتج اللعب فان شاخ او اصابه عطل ما ذهبنا به الى الجراج وبيعناه بابخس الاثمان! وهناك تبدو العلاقة بين اللاعب والنادى وكأنه اداة ولكن الحقيقة عكس ذلك على طول الخط، فهم يؤمنون على اللاعب بمبلغ كبير يقبضه ورثته اذا مات او اذا اعتزل اللعب وهو مبلغ يكفيه لان يبدأ حياته وصاروا اصحاب ملايين او اصحاب عقارات، واصحاب طين، وكلهم فى بحبوحة من العيش، وكل الخير الذى لديهم من عرق اقدامهم او عرق سواعدهم نتيجة الرياضة وما قدموه للناس من فن خلال فترة التألق والشهرة والعنفوان!

فى ولاية ميتشجان الامريكية حاولت ان اجرى حديثا مع لاعب بيسبول شهير، قالوا لى انه واحد من مليونيرات الولاية المعدودين، وان ثروته تقدر بعدة مليارات، وانه لو وقع على كل الاتوجرافات التى تقدم اليه او ترسل اليه بالبريد لانفق عمره كله فى اداء هذا العمل دون ان يجد فرصة لاداء عمل اخر، واتصلت من فندقى بالسيد اللعيب المليونير وردت على الجانب الآخر سكرتيرة تغنى ولا تتكلم ولما فهمت اننى صحفى من بلاد الشرق واننى اريد اجراء حديث مع النجم المشهور امهلتنى ساعة لتأتينى بالجواب بعد ان تتصل باللاعب

الشهير وبعد ساعة بالضبط جاعنى الجواب (ممكن اجراء الحديث بعد ٤٥ يوما وسيسمح لى بنصف ساعة فقط وسأدفع عشرة آلاف دولار نظير اجراء الحديث!) واعتذرت للسيدة السكرتيرة لضيق ذات الوقت وليس لضيق ذات اليد... أعوذ بالله!

وفى فيلا دلفيا اتصلت بملاككم ابيض كان يستعد وقتها لبطولة العالم لاجراء حديث معه اعتذرت السكرتيرة لانشغاله الشديد فى التدريب، قلت: اريد بعض المعلومات عن البطل اذا امكن؟ قالت: المعلومات ستكون متوافرة بعد ساعة زمان وسنرسلها الى الفندق مع مخصص، وقالت وهى تنهى المحادثة: عليك ان تقدم اجر خمسين دولارا للسكرتيرة التى ستحمل المعلومات اليك. وقلت: أسف لان طائرتى ستغادر بعد عشر دقائق!! وكنت كاذبا فيما اقول!! قالت: إذن تستطيع ان ترسل لنا المبلغ وسنرسل لك المعلومات على العنوان الذى تريد، وشكرت الست السكرتيرة ووعدتها خيرا واقسمت الا اجرى حديثا مع اى رياضى فى امريكا على الاطلاق!!

واذا كانت الرياضة عندنا هواية فهى عندهم تجارة ومكاسب وفلوس... اغنى رياضى فى العالم امريكى وهو نجم من نجوم البيسبول ثانى اغنى رياضى العالم وهو برازىلى وهو بيليه، الثالث والرابع والخامس امريكىون وهم برضه من نجوم البيسبول، ولو فى العالم الف رياضى غنى سنجد ان تسعمائة منهم من امريكا ومائة من اوربا وأمريكا اللاتينية، اما اللعيبية تبعنا فلهم الستر والعمر الطويل.. ولكن هل تأتى الثروة من اللعب فقط؟ والجواب نعم تأتى من اللعب اولا ثم تنمو بالشهرة والاعمال والمشروعات وعقود الدعاية والاعلان..

مثلا محمد على كلاى كان يهبر عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى إعلان عن الهمبورجر، ونجم التنس ماكنرو كان يلهم عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى إعلان عن دنلوب، وبطل سباق السيارات الامريكى يقبض عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى إعلان عن جنرال موتورز وكل امريكى شهير له حصة فى ميزانية الدعاية والإعلان، وهى ميزانية ترصدها الشركات فى امريكا وتقدر بعدة بلايين من الدولارات ، ويفوز بالنصيب الاوفر من هذه الميزانية نجوم السينما ثم نجوم الرياضة ثم نجوم السياسة الذين اعتزلوا المباحثات والمفاوضات وتفرغوا لامور الدعاية والإعلان.

وفى الوطن العربى مائتا مليون بنى آدم وربما ربع مليون شخص او اقل هم الذين يمارسون الرياضة والالعاب وفى امريكا مائتان واربعون مليون منهم اربعون مليون يمارسون الرياضة وعدد المحترفين ثلاثة ملايين بالتمام والكمال والرياضة وعدد المحترفين ثلاثة ملايين بالتمام والكمال والرياضة هناك شركات ومؤسسات وعصابات والمجال الذى يظهر فيه اثر العصابات هو الملاكمة فأغلب الملاكمين تلتقطهم العصابات من الشوارع وتدريبهم على الملاكمة وتستخدمهم فى حوادث عنف واللامعون من بينهم يذهبون الى الحلقة والاغنياء منهم يحترفون الجريمة والرئوس الكبيرة فى العصابة هى التى تحرك الجميع ملاكمين ومجرمين على حد سواء ومعظم دخل الملاكمين يذهب الى رجال العصابات.

## باى... باى

١٧

«الآن وقد طفنا ببلاد العم سام، مشرقها ومغربها، وعشنا مع اثريائها وصعاليكها، وتكلمنا مع مثقفها ومغفليها، ورأينا حسناتها وسيئاتها، واكتشفنا انها ضدنا لاننا ضد انفسنا، وتمنيت على الله الكريم ان نستفيد من الحسن الذى لديهم وان نتجنب الشر الذى عندهم. فامريكا مثلها مثل اى مكان آخر. ليست خيرا خالصا ولا هى شرا خالصا، وانما فيها كل شىء وان كانت حسناتها أكثر من سيئاتها.

ونحن على أهبة الرحيل لا نملك إلى ان اقول... الله الله على أمريكا، الله عليها وع اللى حواليتها.

كل شىء متوافر وكل شىء موجود وكل شىء على قفا من يشيل. انهار... ألف نهر ولا نهر الكونغو، وترع.. عشرة آلاف ترعة ولا ترعة سبك، وبحيرات.. عشرة آلاف بحيرة ولا بحيرة التمساح، واشجار على ودنه، وفاكهة من كل صنف، وحيوانات من كل شكل، وطيور على كل لون. الحيوانات من الاسود الى الضباغ الى الفهود الى الديوك الرومى المتوحشة، الديك منها ولا خروف معلوف قبل العيد الكبير

بعده شهور، والعجيب ان للديك الرومى عيداً يحتفلون به فى أمريكا. واصل الحكاية ان المهاجرين الاوائل عندما نزلوا على الشواطىء، جاء عليهم حين من الدهور كاد الجوع يقتلهم، وقد حاصرتهم المياه من كل جانب وضربتهم العواصف من كل صوب وقذفتهم السماء بحجارة من جليد، ولم يكن هناك شىء يؤكل ولا امل فى ذلك فالمرزوعات غطتها الثلوج والماشية نفقت من شدة الصقيع والجوع، وحتى الطيور اختفت فقد هاجرت الى مكان آمن. ووسط هذا الهول الاعظم والموت الزؤام. تطوع عشرة من المهاجرين الشبان للبحث عن طعام فى اى مكان وفى كل مكان. وخرجوا يتعثرون فى الثلوج ويغوصون فى الاوحال، ومر عليهم نهار وليل ثم نهار آخر، وكاد اليأس يقتلهم والجوع يعمى ابصارهم ويفقدهم توازنهم، فقرروا العودة ليعلنوا للآخرين ان الارض التى جاءوا اليها ليست ارض السمن والعسل ولكنها ارض الثلوج والطين. وانها ليست ارض الميعاد ولكنها ارض الممات وفى طريق العودة والانفاس تقطعت والصدور تحشرجت والعافية راحت والامل خبا وانطفأ، ظهر فجأة قطيع من الديوك الرومى المتوحشة، واضح من منظره ان افراده شعروا بالجوع فخرجوا يبحثون عن غذاء. وتقابل القطيعان على الجوع، وتقاتلوا على من يأكل الآخر. معركة الرجال والديوك. وكانت معركة نذرت فيها الدماء وتحطمت فيها العظام وتكسرت فيها الرؤوس، ولم يحسمها فى النهاية الا البنادق والرصاص. عشرات الديوك، وحمل الرجال معهم الى معسكر اللاجئين مئات الديوك وكانوا قد اشرفوا على الهلاك، فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً وعاشوا بعد ذلك على اباداة نوع آخر من

المخلوقات اسمه الهنود! ويحتفل الامريكيون كل عام بعيد الديك الوحشى. يحتفلون به وقد تغيرت الظروف وتغير الديك ايضا. فلم يعد الامريكيون يعانون الجوع، ولم يعد الديك وحشياً، فقد تكسرت اظافره وفقد حدة منقاره، واصبح كالدجاج البلدى، آخر لطافة وآخر خنوع. لقد انقرضت الديوك الوحشية من امريكا ولم يعد لها وجود الا فى الاماكن النائية، وعددها لا يتجاوز المئات! وخلا مكان الديك فى مملكة الوحوش، وان كانت المملكة لاتزال عامرة بكل انواع الوحوش... السباع والضباع والطيور الجارحة والبنى ادمين! واذا كانت امريكا بلاد الوفرة فهى ايضا بلاد القية. فمن نيويورك الى كلورادو مسافة اربع ساعات بالطائرة الجامبو، وهى نفس المسافة من طرابلس الى الكويت، ومن كلورادو الى تكساس مسافة ساعة ونصف الساعة، وهى نفس المسافة من البحرين الى بغداد، ومن تكساس الى لوس انجلوس ساعتين ونصف كالمسافة بين القاهرة والرياض، ومن واشنطن الى سان فرانسيسكو سبع ساعات ونصف الساعة، وهى نفس المسافة من أبوظبى الدار البيضاء. ومع ذلك فلا احد هناك يستوقفك ولا احد يفتشك، ولا جمارك ولا حدود ولا جوازات، بلاد الله لخلق الله. كل مواطن فيها حر. يتجول كما يشاء أو كما يستطيع، فالتذاكر غالية والمصاريف باهظة، ولكن الامريكى معه فلوس ودخله يكفيه للمعيش والتجوال. والسبب هو وحدة هذه الامة الممتدة من المحيط الاطلنطى الى المحيط الهادى، شقفه واجدة بلا تقطيع ولا انفصال، ولذلك البطيخ (المكسيكو) يغطى الولايات المتحدة كلها صيفا والعنب وارد (كاليفورنيا) يغطيها صيفا وشتاء، وكل الولايات تعطى

وتأخذ، لا رسوم ولا تعقيدات، مع ان الفروق بين الولايات اعمق من الفروق بين بلادنا، وحتى اللهجات اكثر تباينا من عندنا فالتكساسى لا يفهمه النيويوركى، والفرجينى لا يفهم الاريزونى، ونمط الحياة فى دنفر يختلف عن نمط الحياة فى بافالو، ولكن التفاهم موجود والمصلحة قائمة والبركة حلت على الجميع. وفى امريكا مائة قومية، ناس اصولها آرية وناس من الهنود الحمر، والسود جميعا من افريقيا، ولديهم قومية كبيرة من الصفر... من الصين واليابان وجنوب شرق اسيا.... وفى امريكا عرب امريكان وامريكان يهود، ولديهم اسبان يتكلمون لغتهم حتى الآن، ولديهم مائة دين، فمعابد البوذيين منتشرة، ومعابد اليهود قائمة فى كل ركن، وماذن المسلمين مرتفعة فى السماء، والكنائس من كل صنف وعلى كل لون، مئات الاديان وألوف المذاهب ناس تعبد الشجرة وناس تعبد البقرة وناس تسجد ووجهها شطر الاهرام، وبالرغم من ذلك فهم امة واحدة.. ونحن عشرون دولة ومائة امارة ومليون اتجاه ومائة وخمسون مليون زعيم خالد، وبعد ذلك نحلم بالعودة الى الماضى ونريد ان ندخل الجنة!! ولأنها اتحدت، فقد اصبح كل امريكى حرا وكل امريكى مسئولا. والحكومة مجرد ادارة للاشراف على تنظيم الاعمال. وليست مالكة للعباد والبلاد. والرئيس الامريكى موظف يمكن فصله او طرده والاسغناء عن خدماته فى اى لحظة، وليس صاحب حق الهى فى حكم الناس، فمن خالفه منهم فهو ملعون، ومن وقف ضده فهو مطرود، ومن رفع يده احتجاجا فهو متآمر وخائن وعميل وبلا اخلاق قرية!! ولذلك فكل شىء هناك على ما يرام. ليس مائة فى المائة ولكن سبعين فى

المائة. وهذا حسن للغاية. والحكومة تحكم بواحد وخمسين فى المائة وليس بتسعة وتسعين فى المائة وتسعمائة وتسعة وتسعين فى الألف كما هو الحال عندنا وكل متهم برىء حتى تثبت ادانته، وكل امريكى حر حتى يحكم عليه القاضى. كل امريكى محترم حتى تزيل السجن، واتمنى ان اعيش حتى ارى هذا اليوم فى بلادنا، ولكن يبدو اننى احتاج الى عمر سيدنا نوح لأرى تباشير هذا اليوم. ولقد حلمت بهذا اليوم وأنا اتسكع على شاطئ المحيط الهادى بين لوس انجلوس وسان فرانسيسكو. وحلمت به وأنا اهم بمغادرة قارة امريكا بعد ستة أسابيع كاملة أمضيت اغلبها فى طائرات وزرت خلالها اكثر من ستة ولايات وحوالى عشرين مدينة، وزرت القرى والريف الامريكى وهو ريف غنى بالمحاصيل وفقير فى المنظر اذا قورن بريف انجلترا، وتمشيت افرنجى على شواطئ البحيرات، وفى امريكا عدد منها يفوق عدد البرك الناجمة عن طفح المجارى فى الوطن العربى، وتفرجت على مسارح مانهاتن وعلب الليل، وشاهدت باعة المخدرات يقطعون الصنف ويضعونه فى الميزان حسب طلب الزبون، هكذا علنا وأمام الناس وعلى عينك يا تاجر. بينما عسكري الداورية الامريكى واقف على الناصية متشاغلا وكأننا فى الباطنية ولسنا فى نيويورك، وتفرجت على بيوت نجوم السينما فى هوليوود وعلى مقابرهم، وقرأت الفاتحة على روح المرحوم دالاس بيرى والمرحوم ادوارد جى روبنسون والمرحومة لانا تيرنر والمرحوم جيمس دين وشاهدت احياء الفقراء، وحرارة رابعة بالجيزة احوالها احسن بالقطع وارفح مستوى من حوارى الفقراء فى امريكا، ولاحظت ان التفرقة العنصرية لا مجال لها

فى حى الفقراء، فالسود الفقراء والبيض الفقراء يعيشون جنباً الى جنب فى سلام وهدوء. وفى انتظار فرج الله، ورأيت فى امريكا نصايين لا يفوقهم احد فى حرفة النصب وحرامية يسرقون فى عز الضهر، ودخلت بارات تقدم لك المشروب مقابل ثلاثة دولارات وتسمح لك بالفرجة على نسوان ترقص امام المرأة زلط ملط، وشعرت بحزن شديد وأحسست بانى جئت الى امريكا متأخراً، وكان ينبغى ان أزورها منذ ثلاثين عاما. ولقد كانت مأساتى الحقيقية خلال الزيارة اننى لم اكن قادرا على قطع الرحلة حتى النهاية واضطربت أحوالى بسبب قلة صحتى وعظيم رغبتى.

وأتمنى أن تتيح لى الظروف زيارة امريكا فى مناسبة قادمة. لكى ارى الولايات التى لم ارها، واطوف بالاماكن التى لم تقع عينى عليها. ونصيحة واحدة للعبد لله الى كل ويكا يرغب فى السفر الى امريكا، ان يطرد هذه الفكرة من دماغه اذا كانت شهادة ميلاده تشير الى انه قد تعدى الثلاثين، وارفع قبعتى الآن وانحنى وداعا لامريكا، وارفع قبعتى بالرغم من أننى لى قبعة وليس على رأسى شعر، ولكنها عقدة الخواجة التى اصابت البعض منا، فاصبحنا نتشبه بالخواجة. ومن تشبه بالخواجة يكرم.

واقول وداعا لقارة امريكا وانا استعد للطيران عائدا من حيث جئت. وهتفت من أعماقى وانا القى على امريكا نظرة اخيرة... باى باى بلاد العم سام.... باى باى بلاد الفتونة والقرصنة والطمع والجشع، الثورة والثروة، والعافية والمافيا، باى باى بلاد الاحلام!

## فهرس

- ٧ ..... استفتاح
- ١٣ ..... الناس الطيبون !!
- ١٩ ..... فى سبيل الرب
- ٣١ ..... نهر البراعم
- ٣٧ ..... الحضارة والصياغة
- ٤١ ..... تجارة البنى آدمين
- ٤٣ ..... ميادين القتال والغرام
- ٥١ ..... عبادة الدولار
- ٥٧ ..... المسلمون السود
- ٦٣ ..... ونصفها للأسف!
- ٦٧ ..... الأعمال بالأرداف
- ٧٣ ..... حضرة صاحب العصابة

مطابع  
الهيئة المصرية العامة للكتاب

- ٧٧ ..... عصر الاحتكار -  
٨٣ ..... حكومة المافيا -  
٩١ ..... «أمريكا يا أمريكا» -  
٩٧ ..... تدريب وتهريب وإبطال -  
١٠٣ ..... تجارة الرياضة -  
١٠٧ ..... باي باي -